٦/ ١١/ ١٩٥٩

حديث الرئيس جمال عبد الناصر

إلى "نيويورك تايمز"

سؤال: سيادة الرئيس.. قبل أن أجيء للقائكم، كنت أقرأ فى كتاب "فلسفة الثورة"، ولقد لفتت نظرى الفقرة، التى تقولون فيها إن سياستكم تتحرك فى ثلاث دوائر: دائرة عربية ودائرة إسلامية ودائرة إفريقية.

وأنا أعلم أنكم كتبتم "فلسفة الثورة" سنة ١٩٥٢، ولقد مر عليه الآن خمس سنوات، فهل مازال ذلك الرأى، الذى أبديتموه عن الدوائر الثلاث التى تتحرك فيها سياستكم، يمثل رأيكم؟ إن كثيرين أخذوا هذا الكلام على أنه يعبر عن رغبتكم فى قيادة جميع العرب.

الرئيس: ليس الأمر بالقطع على هذا النحو، إن أحدًا لا يستطيع أن يبيح قيادة أو يفرضها على الناس، ولكن كل واحد يملك أن يبدى رأيه، فإذا وجد هذا الرأى من يعتنقه أو يؤيده.. فليس ذلك قيادة يريد صاحب هذا الرأى أن يفرضها على غيره.

لقد تردد هذا الكلام الذى تقوله كثيرًا، وأُضيفَ إليه أننا نريد أن نتوسع، وأننا نحلم ببناء إمبراطورية. ورأيى أن ذلك كله كلام عفى عليه الزمن، لقد كان يمكن أن يصبح أيام روما، أو أن يصبح فى القرن التاسع عشر؛ عصر المغامرات الاستعمارية والمطامع التوسعية. وإنما نحن الآن نعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين، وهذا عصر العقائد والآراء، ونحن

نعلن آراءنا ومعتقداتنا، فإذا أحست البلاد المحيطة بنا أن ما نقوله يعبر عن أمانيها، وأن الشعارات التى نرفعها فوق كفاحنا هى نفس الشعارات التى تنبض فى أعماق ضمائرها، فإن ذلك أمر يختلف فى كل شىء عن أن يكون مجرد قيادة.

ولو كانت هناك رغبة من القاهرة فى قيادة حركة التحرر فى المنطقة المحيطة بها.. لما كانت وجدت لها أى صدى، إنها – فى ذلك الوقت – لا تكون إلا رغبة أنانية ضيقة الحدود. كذلك لو كانت هناك خطط ترسم لكى تؤدى إلى وضع القاهرة فى مركز القيادة، لما وجدت غير الفشل الذى لقيته خطط من ذلك النوع، وضعت فى بلاد أخرى غير القاهرة، هذا عن مسألة القيادة.

ثم نواجه السؤال الأصلى عن الدوائر الثلاث: إن هذه الدوائر الثلاث – التى تكلمت عنها فى "فلسفة الثورة" – ليست مجرد رأى، وإنما هى حقيقة جغرافية وتاريخية.

وفيما يتعلق بالدائرة الأولى، وهى العالم العربى؛ فهل يستطيع أى فرد أن ينكر أن القاهرة جغرافيًا فى وسط العالم العربى، وتاريخها عبر كل العصور قطعة من تاريخه؟!

وفيما يتعلق بالدائرة الإسلامية؛ فهل يستطيع أحد أن ينكر أن القاهرة مركز رئيسى من مراكز الإشعاع الإسلامى، وأن أعظم صفحات التاريخ الإسلامى كتبت ما بين دمشق والقاهرة؟!

وفيما يتعلق بالدائرة الإفريقية؛ فهل يستطيع أحد أن ينكر أن القاهرة معبرًا للصراع الكبير؛ من أجل مستقبل هذه القارة التى بدأت تستيقظ؟!

ولقد كان هذا الإحساس هو الذى تولد عنه إيماننا بالتضامن الإفريقى – الأسيوى، ومن ثم مشاركتنا الإيجابية فى مؤتمر باندونج.. لا أحد يستطيع أن ينكر ذلك كله، فكيف يمكن أن ننكره نحن أو نتناساه، وكيف يمكن أن نتخلى عن المسئوليات التى تفرضها هذه الأوضاع كلها علينا؟!

سؤال: فى حديثكم دائماً عن العالم العربى قلتم إنكم تؤمنون بالوحدة العربية؛ فهل معنى ذلك أنكم ترون ضرورة توحيد جميع البلاد العربية فى دولة واحدة؟

الرئيس: دعنى أحدثك عن الوحدة العربية كما أؤمن بها.. عندما كنا طلبة فى المدارس، وضرب الفرنسيون دمشق بالقنابل؛ لم نملك أنفسنا من أن نثور وأن نتظاهر، وأن نردد الهتافات بحياة الوحدة العربية، وعندما حدث نفس الشيء فى بيروت، تكرر نفس الشعور فى نفوسنا.

وحينما حدثت الثورات والانتفاضات فى العراق، وفى الجزائر، وفى ليبيا؛ كان الهتاف والوحدة العربية شعارنا، ولما هتفنا لم نكن نفكر فى الصور الدستورية، وإنما كان هتافنا تعبيرًا عن عاطفة قوية تملأ نفوسنا، كذلك كان تعبيرًا عن إحساس بضرورة أن يكون العرب جميعًا متحدين ضد كل خطر خارجى.

هكذا كان هتافنا والوحدة العربية فى ذلك الوقت عاطفة جياشة من ناحية، ونظرة عملية تؤمن بتساند الكفاح من ناحية أخرى، هذا عن الماضى البعيد فى وجداننا.

وحينما كنا فى الجيش كنا ندرس كيف نؤمن بلدنا، بل قد قمت بتدريس هذه المشكلة فى كلية أركان الحرب، وكان الواضح - نتيجة الدراسات العميقة - أن شعوب المنطقة، لا تستطيع أن تحمى حياتها وآمالها ضد مطامع القوى الكبرى إلا إذا توحد كفاحها. ولقد كان درس التاريخ واضحًا أمام عيوننا، فعندما اتحدت الشعوب العربية استطاعت دائمًا أن تواجه العدوان وأن ترده؛ واجهت متحدة العدوان الصليبى، وردته على أعقابه، واجهت متحدة غزو التتار، وكسرت موجته البربرية، التى أوشكت أن تطغى على المدنية، واجهت متحدة كل المغامرات الاستعمارية.. استطاعت أن تلقى عن كاهلها نير الاستعمار، وأن تطرد جيوش احتلاله، واجهت متحدة كل عدوان خارجى وأحبطته، وحين تخلت الشعوب العربية عن

اتحادها، وقعت فريسة سهلة للسيطرة؛ معنى ذلك بوضوح أنه من أجل تأمين البلاد العربية يجب أن تكون هناك جبهة عربية واحدة، ولكن ما هو معنى ذلك بالتحديد؟

معناه أن تكون البلاد العربية كلها مستقلة، غير خاضعة لأى نفوذ أجنبى يفرق بينها؛ لكى يلهيها عن مقاومته. ولكن ذلك شىء والأوضاع الدستورية شىء آخر، والواقع أنه لما واجهتنا الأشكال الدستورية لأول مرة بإتمام الوحدة بين مصر وسوريا، كانت تلك مفاجأة لنا.. إن الوحدة العربية ظلت دائمًا قوى روحية، أما تحولها إلى قوى مادية.. فإن معنى ذلك أنها توضع فى تجربة ضخمة فى مواجهة قوى كبيرة وكثيرة؛ قوى الاستعمار، وقوى الرجعية، وقوى محترفى السياسة والحزبية.

ولقد جاءت المبادرة من الشعب السورى، وسرنا وراءه ونحن نعلم ما سوف نواجهه.. وبعد أن تمت الوحدة لم يكن أمر هذه القوى كلها مهماً، كذلك لم يكن مهماً أن الوحدة جاءت مبكرة عن أوانها، وإنما كان المهم أنها أصبحت أمرًا واقعًا، وحلمًا عربيًّا كبيرًا تحقق، وينبغى أن يبقى ويكبر ويزدهر.. كذلك لم يكن مهماً أننا لم نكن قد أعددنا أنفسنا للتجربة، وإنما كان المهم أن نبدأ على الفور ولا نضيع وقتًا.

هكذا بدأنا نخطط للأمر الواقع بعد أن تم، وكان بديهياً أننا سنواجه مشاكل اقتصادية وإدارية وتنظيمية، ولكن الأمانة التى تحملنا مسئولياتها كانت تبرر فى رأينا كل جهد يبذل من أجل حمايتها. ولكن ذلك - مرة أخرى - لا يعنى بالضرورة أن الوحدة العربية، تفرض أن تكون البلاد العربية كلها دولة واحدة.

إن الذى يعنينى أن يقوم التضامن العربى ويتوحد الكفاح؛ لأن المصير العربى واحد، والقدر المكتوب للعرب واحد، أما الأشكال الدستورية فأمرها سهل بسيط. إن لكل شعب حقه فى أن يرسم حدوده مع باقى شعوب الأمة العربية، وإن أراد بعضها أن يتوحد مع غيره فى دولة

واحدة، فذلك أمره.. وإذا أراد أن ينضم إلى اتحاد فيدرالى مع غيره، فذلك أيضاً أمره، وإذا أراد أن يحتفظ بحدوده ظاهرة واضحة، فذلك أخيراً أمره، وإنما المهم أن يكون التضامن قائماً فى جميع هذه الحالات.

ولست أنا الذى أقرر لأى شعب من الشعوب العربية الطريق الذى يتعين عليه أن يسلكه، ولا تلك هى مسئولية الجمهورية العربية المتحدة؛ وإنما ذلك أمر متروك لرغبة كل شعب ولإجماعه.

إن الوحدة لا تفرض، وإذا فرضت الوحدة فلن يكون ذلك مبعث قوة؛ وإنما سيكون عامل ضعف وتفكك، إن مستقبل الوحدة لا تقرره القوى، وإنما تقرره الإرادة المستقلة لكل شعب عربى. أما نحن فقد أعلنا موقفنا، إننا على استعداد لأن نقبل كل إرادة حرة لكل شعب عربى، إذا أراد أن يتحد معنا فإننا نوافقه، وإذا أراد أن يكون بيننا اتحاد فيدرالى فإننا نوافقه، وإذا أراد أن يكون بيننا التضامن العربى فذلك أقصى ما نريده.

سؤال: إذا كان التضامن العربى -كما تقولون سيادتكم، وكما يبدو من كلامكم- هو إرادة الشعوب العربية، فما العقبات التى تقف إذًا فى طريقه؟

الرئيس: النفوذ الأجنبى، خذ ما حدث فى الأردن مثلاً، حينما تخلص الأردن من سيطرة "جلوب" وعاد أمر شعبه إلى نفسه؛ قامت على الفور قيادة عربية موحدة، وكان الشعب والجيش والملك يسيرون فى خط واحد.. خط طبيعى بديهى يمليه الوضع المستقل، الذى تمكن الكفاح الأردنى من الحصول عليه.

ثم بدأ النفوذ الأجنبى يلعب دوره، واخترع اختراعًا.. مؤامرة ادعى أن مصر وسوريا والاتحاد السوفيتى قاموا بها فى الأردن! ثم اتخذ ذلك ذريعة للانقلاب على الكفاح الأردنى، وعادت الحواجز التى كانت مفروضة قبل خروج "جلوب" إلى مكانها بطريقة تكاد تكون آلية، ذلك مثال واضح.

حينما يتوفر الاستقلال لأى بلد عربى.. فإن تضامنه مع باقى الشعوب العربية – بصرف النظر عن النظم الدستورية – يصبح الأمر الطبيعى الذى لا مجال خلافه، وحين يسيطر النفوذ الأجنبى فإن الحواجز المصطنعة، هى أول الخطوات لتفتيت التضامن العربى. لم يحدث ذلك فى الأردن فقط، وإنما حدث فى كل بلد عربى تقريباً، فى لبنان مثلاً، كان النفوذ الأجنبى – نفوذ الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا – هو الذى أدى إلى الحوادث التى جرت فى لبنان فى سنة ١٩٥٨، وكان الهدف منها ضرب القومية العربية، وعزل شعب لبنان عن تيارها. فى العراق مثلاً، كان النفوذ الأجنبى تمثله الشيوعية وفلول الاستعمار البريطانى، هى التى تحاول أن تعزل العراق عن التيار العربى التحررى، وكان طريقهم إلى ذلك نفس الطريق.. تفتيت وحدة الشعب العراقى داخلياً، وتمزيق روابطه مع باقى الشعوب العربية وراء حدود العراق.

فى السودان مثلاً، كان النفوذ الأجنبى هو الذى وضع العقبات فى سبيل أى تفاهم بين شعب مصر وشعب السودان، ولكن يجوز أن تكون هناك مشاكل بين الشعبين، ولكن أيًّا من هذه المشاكل لم يكن مستعصيًا على الحل؛ إذ لم يكن هناك تدخل أجنبى، ولقد أثبت الاتفاق الذى توصلنا إليه مع السودان هذا الأسبوع هذا الأعتقاد، فإنه لما خلصت النوايا وتحررت من تأثيرات النفوذ الأجنبى.. أمكن الوصول إلى اتفاق فى ظرف بضعة أيام.

سؤال: فى حديث صحفى لكم، دعوتم إلى إحياء لجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة؛ لكى تقوم على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين واللاجئين، وكان ذلك فى معرض حديثكم عن تمسك إسرائيل بقرار مجلس الأمن، الذى يقضى بفتح قناة السويس أمام سفنها، فهل لديكم خطة عملية لتنفيذ اقتراح إحياء لجنة التوفيق وإعادتها للعمل؟

الـــرئيس: ليست لدى فى هذا الأمر خطط؛ وإنما كنت أشير إلى قرارات للأمـــم المتحدة، التى تدور المحاولات الملحة من حولها؛ لتغطيتها ودفعهـــا إلـــى النسيان.. كنت أشير إلى أن التوتر فى الشرق الأوسط لا يمكن بحال من الأحوال أن تخف حدته، إلا إذا وضعت قرارات الأمم المتحـــدة موضـــع التنفيذ. ولم يكن ذلك رأينا وحدنا نحن أصحاب القضية، وإنمـــا شـــاركتنا ووقفت معنا فى ذلك كله شعوب إفريقيا وآسيا، التى ارتفع صـــوتها فـــى باندونج، تناشد الأمم المتحدة أن تضع قراراتها بشأن فلسطين واللاجئـــين موضع التنفيذ؛ باعتبار أن ذلك هو الطريق الوحيد؛ لتخفيف حدة التـــوتر فى الشرق الأوسط. ولقد جاء ذلك نتيجة لسؤال صحفى كما تقول، سُئلت عن تمسك إسرائيل بقرار مجلس الأمن الذى يطلب منا فتح قناة الـــسويس لسفنها، وكان رَدِّى: وماذا عن قرارات الأمم المتحـــدة بـــشأن فلـــسطين واللاجئين؟!

ثم استطردت وأوضحت كيف أن الأمم المتحدة تناست هـــذه القـــرارات، وتناست أنها ألفت لجنة لتنفيذها، وأن هذه اللجنة مازالت موجـــودة علـــى الورق، دون أن يكون لها على الطبيعة وجود، وكيف أن إسرائيل تلاعبت بهذه اللجنة فحضرت من جلساتها جلسة واحدة؛ لتبرر قبولها عضوًا فـــى الأمم المتحدة، فلما حصلت على هذه العضوية استنفذت هذه اللجنة – فى رأيها – أعمالها، ومن ثم قاطعتها. ولم تكن الدول العربية فى ذلك الوقت هى التى قاطعت هذه اللجنة، كما تصر جريدة "نيويورك تايمز" علـــى أن تقول الآن.. كانت إسرائيل هى التى قاطعت بإصرار علـــى أن يتلاشـــى وجود هذه اللجنة؛ لكى تتلاشى معها القرارات التى كان ينبغى أن تقـــوم على تنفيذها.

سؤال: هل يتغير موقفكم، لو عادت هذه اللجنة إلى العمل لتنفيذ قرارات الأمـــم المتحدة؟

الرئيس: على الأقل سوف يؤدى ذلك إلى تخفيف حدة التوتر العنيف فى المنطقة.

سؤال: لقد راقبنا باهتمام تطور علاقات الجمهورية العربية المتحدة بالاتحاد السوفيتى، ولاحظنا أنه بينما تحاولون إقامة علاقات ودية مع الاتحاد السوفيتى، فإنكم كنتم تقفون موقفًا معاديًا للشيوعية، وللتسلل الشيوعى فى المنطقة، ألا ترون أن ذلك يخلق تناقضًا فى سياستكم؟

الرئيس: أولاً، دعنى أقول لك إن التسلل فى المنطقة أو محاولاته لا يقوم بها الشيوعيون وحدهم، وإنما ذلك أمر واجهناه أصلاً من كل القوى الكبرى. لقد واجهنا تسللاً من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، وواجهنا ما هو أكثر من مجرد التسلل من جانب بريطانيا وفرنسا، وهذه ملاحظة مبدئية.

والآن، فيما يتعلق بأى نوع من أنواع التسلل.. فإننا نعتقد أن مسؤلياتنا كشعب وكحكومة أن نواجهه، وأن نتخذ الإجراءات لكفالة سلامة بلادنا ضده. ومع ذلك فلنتكلم الآن كما تريد عن التسلل الشيوعى، ودعنا أولاً نسأل ما هو الطريق الذى يسلكه هذا التسلل فى تحقيق أهدافه؟ ولنحاول أن نتأمل وندرس ما حدث فى مصر وما حدث فى العراق؛ فى مصر بدأت علاقتنا بالاتحاد السوفيتى سنة ١٩٥٥، ولم يجعلنا ذلك نهادن الشيوعية المحلية فى أى وقت، أو نعطى الشيوعية فرصة لاستغلال علاقتنا مع الاتحاد السوفيتى فى صالح توسع قاعدتهم. ومنذ البداية، منذ بداية الثورة، طلب إلينا الشيوعيون أن يشتركوا معنا فى تأليف جبهة موحدة، ولما كنا نعرف أسلوبهم فى العمل؛ فلقد كان الرفض هو جوابنا.. كنا نعرف أسلوبهم فى العمل، وهو أن يبدأوا بجبهة متحدة، ثم يتوسعوا فيها، ثم ينتهى بهم الأمر إلى السيطرة عليها، وذلك ما حدث فى العراق.

لقد بدأ حكام العراق بعد الثورة يعطون الشيوعيين المحليين فرصة للعمل، تحت تصور أنهم بذلك يوازنون العناصر الوطنية، ولكن ذلك أشبه بلعبة

المشى على الحبل، ولا يمكن أن تستمر إلى الأبد موازنة الشيوعيين بالوطنيين، وموازنة الوطنيين بالشيوعيين.

ونعود إلى الموضوع الأصلى من تجربة مصر، حينما هوجمنا من جانب الغرب بعد رفضنا لأحلافه العسكرية، وبعد عقد صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتى كسرًا لاحتكار السلاح، الذى كان الغرب يحاول أن يفرضه، واتهامنا بأننا نعطى الشيوعيين فرصة فى بلادنا.. كان إيماننا أن ذلك ليس صحيحًا، وأن العراق الذى تمكن الاستعمار والرجعية العراقية من أن يفرض عليه حلف بغداد تحت ستار مقاومة الشيوعية.. هو فى الواقع أقرب إلى الشيوعية، وأكثر تعرضًا لها من مصر البعيدة عن الأحلاف، التى تتبع سياسة متحررة، مهما بلغت درجة صداقتها بالاتحاد السوفيتى.

كنا نعتقد – وما زلنا – أن النظم الرجعية هى خير ميدان ينشط فيه العمل الشيوعى ويشتد، وذلك أن النظم الرجعية بطبيعتها توجه أكبر وأقصى ضرباتها إلى العناصر الوطنية، تظن أنها بذلك تحطم حصون مقاومة الشعب لها، ثم تكون نتيجة ذلك أنه فى الوقت الذى تتلقى العناصر الوطنية أكبر وأقصى الضربات، لا تفعل العناصر الشيوعية إلا أن تنكمش وتنتظر قابعة فى خلاياها تحول التيار. وذلك ما فعله نورى السعيد تمامًا.. لقد كان الحكم الرجعى على أيامه فى العراق، والضربات التى وجهها للعناصر الوطنية العراقية الأصيلة؛ هو الذى أعطى الشيوعيين فرصة تملك الميدان حين جاءت الثورة.

حين جاءت الثورة، كانت العناصر الوطنية التى تحملت وطأة البطش والجبروت لم تكن انتهت من تنظيم صفوفها بعد.. أما الشيوعيون، فقد خرجوا من خلاياهم، أوعادوا من خارج العراق، وركبوا موجة المد الثورى الجارف، وإذا كان يبدو الآن أن الشيوعيين يسيطرون على حكم العراق؛ فإن السبب الرئيسى فى ذلك لا يرجع إلى ما حدث بعد الثورة؛ وإنما هو يرجع أولاً إلى ما حدث قبلها.

ومرة أخرى أعود إلى تجربة مصر، لقد كان الشيوعيون قبل ثورة ١٩٥٢ يسيطرون على قيادة الجماهير، وذلك بأن يتبنوا الأهداف الوطنية، التى أهملتها حكومات ما قبل الثورة، ولكن هذا الوضع تغير بعد الثورة حينما أحست الجماهير بوعيها العميق أن حكومتها تنبثق من أهدافها.

وإنى لأذكر أنى قابلت "المستر جون فوستر دالاس" بعد الثورة، وكان حديثه كله عن الأهداف العسكرية، كوسيلة لمواجهة العدوان المحتمل من الخارج. ولقد قلت له رأيى بصراحة، وكان يتلخص فى أن العدوان من الخارج لن يجىء؛ ذلك لأن أساليب الحرب الجديدة وفى مقدمته اختراع الأسلحة النووية غيَّر صورة الحرب، وجعل أى عدوان خارجى أمرًا بعيد الاحتمال، كذلك كان ملخص رأيى أن الجبهات الداخلية هى الأمر الأولى بالعناية والحماية.

وقلت له: إنك تستطيع بوسائلك أن تضغط على حكومة عربية؛ لكى تنحاز إلى معسكركم وتعطيكم القواعد العسكرية فى أرضها، ولكن ذلك لن تكون له أى فائدة عندما تجىء التجربة الفاصلة، ولسوف تجد أن الحكومة التى خضعت لضغطكم قد انفصلت عن قاعدتها الشعبية، وأن هذه الحكومة لم تعد قادرة على قيادة جماهير شعبها، وستجد أن هذه القيادة قد انتقلت إلى زعامات لا تراها، وكذلك فإن القواعد العسكرية التى ستحصل عليها تحت الضغط سوف تصبح عديمة الفائدة عندما تحتاج إليها، وذلك أنه فى مواجهة كل قاعدة لك، ستكون هناك عشرات القواعد تعمل ضدك.

لقد تحقق كل الذى قلته له، وبعد أن تحقق، لم يجد من دفاع إلا أن يلقى علىّ مسئولية كل ما حدث، ولست أدرى كيف أكون مسئولاً عن شىء بصرته بعواقبه؟ وما هى النتيجة التى انتهى إليها كل الضغط الذى بذل لإرغام شعب العراق على قبول حلف بغداد؟

ثم هذا الخطر الذى يتعرض له العراق اليوم، هل جاء غزو من الخارج، أم أنه ثبت بعد فوات الأوان أن الجبهات الداخلية هى الميدان الحقيقى، الذى ينبغى العمل فيه؟

سؤال: على ذكر العراق، هل نستطيع أن نسألكم عما إذا كان يمكن أن يعود التفاهم بينكم وبين اللواء عبد الكريم قاسم، أم أن هذا أمرًا فات أوانه؟

الرئيس: المسألة ليست مسألة تفاهم، أو سوء تفاهم.. إنها مسألة مبادئ ومعتقدات. عندما قامت الثورة فى العراق، كُنَّا أول من أيدها، وكذلك قلنا من الدقيقة الأولى أن تأييدنا لها ليس مبعثه رغباتنا فى وحدة أو اتحاد مع العراق، ولقد سمع منا كل عراقى قابلناه أننا لن نستهدف إلا أمرين، نرى فيهما سلامة الشعب العراقى وضماناً لمستقبله:

أولهما أن يصان استقلال العراق.

ثانيهما انتصار الوحدة الوطنية فى العراق.

ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ حدث أن الشيوعيين الذين كانوا قد قبعوا فى الخلايا السرية أو هربوا خارج العراق، عادوا لاستغلال التطورات الجديدة، ثم انضم إليهم بعض الشيوعيين الهاربين من سوريا، وكان اتجاههم جميعًا أن العراق هو القاعدة الوحيدة الباقية لهم؛ للعمل فى العالم العربى، وبدأوا – منذ ذلك الوقت – فى اختلاق المعاذير لخلق سوء تفاهم يعزل العراق عن التيار العربى الوطنى، ومن ثم يتخذون من العراق مركزاً للتقدم إلى سوريا، ثم الأردن ولبنان؛ بغرض فرض نظم شيوعية على شعوب هذه المنطقة. ولقد واجهنا ذلك، وكان لابد أن نواجهه، وعارضناه وكشفنا أمره، هكذا وقع الخلاف.

وفيما يتعلق باللواء عبد الكريم قاسم، فإنه رأى – لأسباب شخصية – تشجيع ذلك الوضع؛ لقد تصور أنه بذلك يقوى مركزه الشخصى فى العراق.

ثم نتساءل بعد ذلك: هل نجحت خطة الشيوعيين؟ أنا أقول: لا، إننى واثق أن الشيوعيين فى العراق – ولو أنهم يملكون النفوذ على الحكومة التى تستعين بهم لضرب العناصر الوطنية – فإنهم فى الواقع فى عزلة عن الشعب العراقى. لقد رأى ذلك الشعب العراقى عن كثب ماذا يمكن أن يحدث له إذا ما أتيحت للشيوعيين فرصة.. لقد رأى الشعب العراقى بنفسه أبناء منه يدفنون أحياء، وأبناء منه يقتلون ويسحلون، وليست تلك هى الشخصية العراقية، ولا تلك هى التقاليد العراقية أو العربية.

سؤال: هل معنى ذلك أن قاسم أسير الشيوعيين؟

الرئيس: ذلك أمر لا أستطيع أن أقطع به، على أنى واثق أنه إذا أراد اللواء عبدالكريم قاسم أن يحرر شعبه من سيطرة الشيوعيين، فإنه يستطيع ذلك دون شك.. إن الشيوعيين الآن فى عزلة عن الشعب العراقى، والغالبية العظمى من هذا الشعب تملؤها العقيدة الوطنية، ولا يملك الشيوعيون إلا سيطرتهم على الحكومة وتسخير جهاز الحكم لصالحهم.

سؤال: هل يمكن أن يكون فى العراق جماعات تؤمن بوطنية عراقية مستقلة؟

الرئيس: طبعاً، توجد هذه الجماعات، تؤمن بالوطنية العراقية المستقلة كما تؤمن بالتضامن العربى، ونحن نحترم هذه الجماعات، ولا نشعر أن ثمة خلافاً بالرأى بينهم وبيننا. إن المشكلة الحقيقية ليست أن تقوم وحدة، أو يقوم اتحاد عربى؛ إنما المشكلة الحقيقية للعراق أن تقوم الوحدة والاتحاد داخله.

ثم دعنى أسأل: ما هى قيمة أى اتحاد يفرض على العراق دون رغبة شعبه؟ هل ذلك يقوى الدول المتحدة، أم يضعفها؟ رأيى أنه يضعفها، إن المسألة ليست مسألة زيادة رقعة الأرض.. إنما المسألة هى زيادة القوى الإيجابية، ورب وحدة نصبح بعدها أضعف مما كنا قبلها، ومن هنا أقول إن التضامن العربى هو التعبير الحقيقى عن الوحدة العربية.

سؤال: أيهما أهم فى رأيكم بالنسبة لتطور بلادكم: السياسة الخارجية، أم السياسة الداخلية؟

الرئيس: إن المسألتين فى رأينا لا يمكن الفصل بينهما، إن من المهم جدًّا أن نبنى بلدنا، تلك سياسة داخلية. من المهم جدًّا أن نؤمن هذا البلد الذى نبنيه، وهذه سياسة خارجية، ولكن هل هناك انفصال بين الأمرين؟ ولنأخذ مثلاً حرب السويس، هل كانت هذه الحرب مسألة سياسية خارجية؟

لقد بدأت المسألة على النحو التالى: فى محاولاتنا لبناء بلدنا، ومواجهة مشاكل الإنتاج وزيادة عدد السكان، كان مشروع السد العالى يقف فى مقدمة المشاريع التى يجب أن نقوم بتنفيذها. ولقد حاولنا الحصول على المساعدات والقروض، التى تمكننا من ذلك من الولايات المتحدة وبريطانيا مثلاً، ثم تلقينا العروض من الولايات المتحدة وبريطانيا، ثم جرت المحاولة لاستغلال ذلك لفرض سياسة معينة علينا، فلما لم نخضع ولم نستسلم.. فوجئنا بسحب عروض المساهمة فى تمويل السد العالى، وفى سحبها بطريقة تحمل طابع الإهانة لشعبنا. ولم يكن فى استطاعتنا أن نتناسى أهمية تنفيذ السد العالى من الناحية المادية، ولا كنا من الناحية المعنوية نرضى أن نسكت على إهانة وجهت إلى شعبنا.

هكذا أممنا قناة السويس؛ لكى نستغل دخلها فى بناء السد العالى، وكانت النتيجة حرب السويس. وأسألك هل كانت حرب السويس على هذا النحو سياسة خارجية أو سياسة داخلية؟

وقبل ذلك سنة ١٩٥٤، حينما توجهنا بكل اهتمامنا إلى بناء الوحدات المجمعة، وإلى إقامة المدارس والمستشفيات، وإلى وضع الإصلاح الاجتماعى بجميع صوره فى مكانة، لم يسبق الاهتمام بها حتى بالجيش، ثم فوجئنا بالغارة على غزة فى فبراير ١٩٥٥.. لقد كان التساؤل الذى واجهناه وقتها هو هل نبنى المدارس والمستشفيات والوحدات المجمعة ونهمل أمر جيشنا، ثم تتكرر فينا بعد ذلك المأساة التى لحقت شعب

فلسطين؟ أو بمعنى آخر هل نبنى بلدًا، ثم نتركه يتحول إلى شعب من اللاجئين؟

لقد كانت إجابتنا على هذا التساؤل وقتها هو أن الجيش القوى درع للبناء، وفى مواجهة احتكار السلاح الذى كان الغرب يفرضه علينا حصلنا من الشرق على السلاح. هل كانت صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتى سياسة خارجية أم سياسة داخلية؟

ثم خذوا موقفكم أنتم، إنكم تصرفون ٤١ بليون دولار على أغراض التسلح كل عام، وأنتم بذلك تريدون حماية نظام الحياة التى ألفتموه، والذى تعتقدون أنه أكثر من غيره ملاءمة لكم.. هل بلايين الدولارات، التى تصرفونها فى هذا السبيل سياسة خارجية أم سياسة داخلية؟ الواقع إن الفصل بين الاثنين غير ممكن؛ لأن الصلة بينهما قوية وطيدة.

سؤال: فى حديث أخير لكم، قلتم إن الثورة الحقيقية لم تبدأ بعد، وعلى وشك أن تبدأ، فما الذى كنتم تقصدونه بذلك؟

الرئيس: إن الثورة فى رأيى مرحلتين:

١- مرحلة سياسية تقوم الثورة فيها بالقضاء على كل ما يعترض أهدافها الأصلية من عقبات كالاستعمار، والإقطاع، والاستغلال بجميع أنواعه.

٢- مرحلة اجتماعية تتوفر فيها للجميع فرص متكافئة.

وحينما قلت إن الثورة الحقيقية لم تبدأ بعد.. كنت أعنى أننا قطعنا شوطًا كبيرًا فى المرحلة الأولى من الثورة، وهى المرحلة السياسية، وأن المرحلة الثانية.. المرحلة الاجتماعية لازالت تواجهنا وتنتظر جهودنا. وتحقيق المرحلة الاجتماعية من الثورة لا يمكن أن يتم بسهولة، ونحن نعتقد أنه من أبرز خطواتنا فى الثورة الإجتماعية أن نضاعف الدخل القومى فى عشر سنوات، ثم نعود إلى مضاعفته مرة أخرى فى عشر

سنوات تالية... وهكذا حتى نصل إلى مستوى يكفل فرصاً كريمة للعيش لشعبنا.

إن مستوى الدخل القومى للفرد فى أمريكا هو ١١٠٠ دولار فى السنة، بينما مستواه فى الإقليم المصرى من الجمهورية العربية المتحدة لا يزيد عن ١٥٠ دولار فى السنة، ومعنى ذلك أن مستوى الفرد الأمريكى أفضل عشر مرات من مستوى الفرد فى مصر.

وذلك أمر لابد أن نواجهه، دونما حسد لكم أو حقد عليكم، والمشكلة أننا يجب أن نتحرك بسرعة أكبر.. فإنه عندما يتاح لنا أن نصل إلى مستواكم، ستكونون أنتم قد تجاوزتم ذلك المستوى بكثير، ذلك أنكم تملكون الأساس الذى تقيمون عليه البناء، وتملكون منه وسائل العمل أكثر مما نملكه.

فلا يمكن أن تقوم حرية حقيقية إلا على أساس من القضاء على الحاجة.. إن مفاهيم الديمقراطية تختلف باختلاف المستوى الاجتماعى، إن الديمقراطية فى آسيا وإفريقيا هى لقمة العيش أولاً، وهى الكساء وهى المسكن، فإذا ما عز ذلك على الفرد.. فكيف يمكن أن تكون هناك حرية أو ديمقراطية؟!

وأنا أسمع مثلاً أنكم تنقدون نظام "الكوميونات" فى الصين، ولربما كان نقدكم له جائزًا على ضوء ظروفكم، ولكن إذا ما نظرتم إلى ظروف شعب الصين، وقد كانت المجاعات تفتك بالملايين من أبنائه، فإن "الكوميونات" التى توفر لسكانها على الأقل ثلاث وجبات فى النهار، قد تبدو أمامكم فى صورة أخرى.

ولقد نسيت ما حدث للرواد الأوائل فى أمريكا، قبل أن يقيموا المجتمع الأمريكى على النحو الذى تركوه لكم.. لقد كانت الحاجة إلى لقمة العيش أسبق الحاجات، ثم تلتها الحاجة إلى الكساء، ثم إلى المسكن، ثم جاء بعدها دور السيارات وأجهزة التليفزيون... إلى آخره.

سؤال: ولكن كيف تحققون خططكم فى التنمية الاقتصادية، وأنتم تتبعون سياسة لا تريد أن تتحالف مع أحد، بل تتجه إلى عزلة؟

الرئيس: ليست هناك عزلة على الإطلاق، وإنما نحن نمد يدنا للتعاون وللبناء مع الجميع، ونحن مثلاً نجاهد لكى تنشط التجارة بيننا وبين الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن مشكلتنا أنه لكى نستطيع أن نشترى منكم، لابد أن نشترى منكم بالدولارات، ولكى تكون عندنا دولارات لنشترى بها منكم.. لابد أن يكون عندنا ما نبيعه لكم بالدولارات، ولكنكم تقولون إن لديكم كل شىء، وهكذا لا نستطيع أن نشترى منكم كل ما نتمنى أن نشتريه.

وفى سنة ١٩٥٥ مثلاً اشترينا منكم بما قيمته ٢٨ مليوناً من الجنيهات، ولكننا لم نستطع أن نبيع لكم بأكثر مما قيمته ٨ مليون من الجنيهات، أى أنه كان فى الميزان التجارى بيننا عجزًا لصالحكم قدره ٢٠ مليوناً من الجنيهات، فكيف نحصل عليه؟

هذه هى المشكلة، كيف نشترى منكم إذا لم تشتروا منّا؟ إننا نريد استخدام تقدمكم ومخترعاتكم الجديدة والوسائل الفنية التى توصلتم إليها، ولكن كيف يمكن أن نشترى ذلك كله من غير دولارات؟ إن أجهزة الراديو التى تنتجونها مثلاً دقيقة وجميلة، ولكننا نحتاج إلى الدولارات لنشتريها، ونحن نؤثر توفير الدولارات لشراء وسائل الإنتاج؛ لذلك نفضل أجهزة الراديو التى ننتجها نحن، ربما كانت أقل جمالاً وأناقة، ولكنها فى متناول أيدينا. مضافًا الى ذلك أننا لا نريد أن نشترى سلعًا استهلاكية، وإنما نريد أن نوفر كل ما نستطيع لشراء أدوات الإنتاج، وأنتم لا تساعدون على ذلك كثيراً.

سؤال: هل لديكم اعتراض على فكرة المساعدات الخارجية؟

الرئيس: إن المساعدات كلها كانت فى الغالب موجهة إلى نواحى الخدمات أو النواحى الاستهلاكية، وهذا ما لا نريده الآن.. على أن هناك نظامًا بدأتم

فيه أخيراً؛ وهو نظام قروض تنمية الإنتاج، وأظنه أكثر ملاءمة للظروف الجديدة.

سؤال: هل تحاول الجمهورية العربية المتحدة إقامة توازن فى مصادر القروض التى تحصل عليها؟

الرئيس: إن الخمس سنوات الأولى من الخطة الشاملة لتنمية الدخل القومى فى عشر سنوات، تحتاج فى الإقليم المصرى إلى ألف مليون جنيه، ابتداءً من يناير فى سنة ١٩٦٠، وتحتاج نفس هذه الخطة فى الإقليم السورى فى نفس هذه المدة ٣٠٠ مليون جنيه، ونصف هذا المبلغ يجب أن يكون إما بالعملات الأجنبية التى نملكها، أو عن طريق القروض.

ولقد حصلنا على عدد من هذه القروض فعلاً؛ حصلنا على ١٠٠ مليون جنيه من الاتحاد السوفيتى؛ ستون منها لمشروعات التصنيع، وأربعون للسد العالى، وحصلنا على اعتمادات من ألمانيا الغربية بمبلغ ٤٥ مليون جنيه، وحصلنا على ١٢ مليون جنيه من اليابان، وسبع ملايين من ألمانيا الشرقية. أما من الولايات المتحدة الأمريكية، فلم نحصل حتى الآن على ما نريده، لقد حصلنا فعلاً على خمس ملايين من الدولارات لمصنع السماد، و١٢ مليون من الدولارات لقاطرات الديزل، ونحن نتفاوض الآن للحصول على قروض لتنمية الإنتاج.

والواقع أن ذلك مكَّننا من أن نتحرك بحرية أكثر، ولقد حصلنا فى الحقيقة على شروط ملائمة؛ ففى اتفاقنا مع الاتحاد السوفيتى حصلنا على اعتمادات، تمكننا من شراء ما نريد بفوائد قدرها ٢,٥% تدفع على ١٢ سنة، تبدأ بعد سنة من إقامة هذه المصانع وبداية إنتاجها، وبذلك نسدد ثمنها من فائض إيرادها على الدخل القومى.

ولقد قطعنا مرحلة تمهيدية لا بأس بها من تنمية اقتصادنا؛ فلقد أنجزنا مشروعًا مبدئيًا للسنوات الخمس فى مدة عامين فقط، وبلغ ما صرفناه على الإنتاج فى الإقليم المصرى خلال الفترة الأخيرة ١٤٥ مليون جنيه.

ونحن على وشك أن نبدأ الآن فى العمل فى مشروع السنوات الخمس الثانى، الذى هو فى الواقع الجزء الأول من الخطة الشاملة لتنمية الإنتاج ومضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات.

سؤال: لقد كنت يا سيادة الرئيس فى قناة السويس، وكتبت مقالاً نشر فعلاً فى "نيويورك تايمز" عن الطريقة البارعة، التى تجرى بها الآن إدارة قناة السويس وصيانتها، وتلقيت خطابًا من قارئ، يقول لى فيه: "إذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تقوم بذلك فعلاً؛ فما حاجاتها إلى قرض لقناة السويس؟ وما الضمان أنها لا تريد أن تحصل على القرض الجديد من الدولارات؛ لكى تستعمله فى شراء السلاح؟".

الرئيس: إننا لا ندفع دولارات فى الأسلحة، ولو كانت لدينا دولارات ندفعها للأسلحة لكنا اشترينا من الولايات المتحدة. ولقد حدث عندما طلبنا سلاحاً من أمريكا وطولبنا بدفع ٣٠ مليون دولار مقدمًا أن رفضنا، ولقد كان كل ما لدينا من الدولارات – فى ذلك الوقت على أى حال – ٢٩ مليون دولار، أما القرض فنحن نريده لتوسيع وتعميق القناة.

سؤال: فهمت أن هذا القرض سيستعمل فى شق قناة أخرى موازية للقناة القديمة.

الرئيس: ليس هذا هو المشروع الذى نتفاوض للحصول على قرض لتمويله، هذه مرحلة لا تزال تحت الدراسة. أما المشروع الذى نتفاوض بشأنه الآن فهو تعميق القناة قدمين وتوسيعها، وحفر طرق بديلة فى بعض الأماكن لتسهيل مرور القوافل. أما تحويل القناة إلى طريقين، فإنه يتكلف ١٠٠ مليون جنيه، ولا يمكن أن نفكر فى القيام به قبل أن ندرس احتمالات حركة نقل البترول فى قناة السويس، على ضوء الاكتشافات البترولية الجديدة فى الجزائر وليبيا.

سؤال: هل ستقوم لديكم - بتجربة الاتحاد القومى- حياة نيابية جديدة؟ وهل يمكن أن تقوم هذه الحياة النيابية بغير تعدد الأحزاب؟

الرئيس: دعنى أسألك: ماذا فعل "واشنطن" فى أمريكا عقب معركة الاستقلال؟ هل كانت هناك أحزاب؟ الواقع أن "جورج واشنطن" كان يرى عدم قيام الأحزاب، وكان يرى أنه لو تعددت الأحزاب فى هذه المرحلة الحرجة التالية للحصول على الاستقلال مباشرة؛ لأدى ذلك إلى قيام حرب أهلية. وكان رأى "واشنطن" أن وحدة الشعب الأمريكى وابتعاده عن مشاكل أوروبا هى خير ضمان للاستقلال الوليد. وعندنا فى مصر قبل الثورة كانت هناك أحزاب، وكانت هناك واجهة لحياة برلمانية، فهل كانت هناك ديمقراطية؟

كان هناك برلمان، وكانت هناك قوة احتلال، كانت هناك انتخابات شعبية، أو هكذا كان مفروضًا أن تكون، وكان القصر هو المرجع الأول والأخير. كانت هناك أحزاب، وكان السفير البريطانى هو الذى يجئ بالوزارات ويذهب بها! فهل كانت هذه ديمقراطية، أم أن تلك كانت مجرد واجهة مضللة؟!

لقد صفَّينا الأحزاب، وبدأنا بعد انتهاء معارك الاستقلال نحاول أن نصنع حياة سياسية على أساس جديد، وكان لابد من فترة، تتغير فيها الأحوال؛ ليستطيع الفلاح الصغير أن يسترد حقه فى أن يقول لا أو نعم دون أن يؤثر ذلك فى مصيره. وفى سنة ١٩٥٦ انتهت هذه الفترة، وفى سنة ١٩٥٧ أجريت انتخابات حرة، وضعت فيها قيود على الشيوعيين والرجعيين، ولكن بابها - فيما عدا ذلك - كان مفتوحًا أمام الجميع. وأسفرت الانتخابات عن مجلس للأمة قام بدوره خير قيام، حتى جاءت الوحدة ففرضت فترة انتقال جديدة، أوشكت الآن أن تنتهى، ولسوف يكون لدينا بعد قليل أول برلمان للوحدة. ليس معنى ذلك أنه ستكون لدينا أحزاب.. فإننا لو أبحنا قيام الأحزاب فى هذه الفترة؛ لانتهى الأمر إلى أن

يكون لدينا حزب رجعى يتعاون مع الاستعمار، وحزب شيوعى يستمد وجوده من خارج بلادنا، ثم تبقى العناصر الوطنية الخالصة لوطننا تواجه صراعًا عنيفًا يعوق تطور الوطن.

ولقد قامت فكرة الاتحاد القومى، وبدأ تكوين الاتحاد القومى على أساسها كملء للفراغ الناشئ عن حل الأحزاب؛ وذلك أن يقوم الشعب بنفسه بتشكيل قيادته الوطنية، بعد أن اختارها على جميع المستويات فى انتخابات حرة. وفى داخل إطار الاتحاد القومى يمكن أن تختلف الآراء وتتعدد الأفكار، فى إطار من الوحدة الوطنية، لا تفتح الباب لأى تدخل أو استغلال خارجى.

obeikandl.com

١٩ / ١١ / ١٩٥٩

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى حفل جامعة القاهرة بعيد العلم

■ **أيها المواطنون:**

لقد أسعدنى أن توجه إلى الدعوة للاشتراك معكم فى هذا العيد، وبصرف النظر عن المتعة التى تحملها المشاركة فى يوم عيد – خصوصًا ومعنا فيه ضيف عزيز صديق هو الأمير "سيهانوك" رئيس وزراء كمبوديا – فإن هذا اليوم بالذات – عيد العلم – يحمل إلى قلبى من دواعى الاطمئنان ما يؤكد لى أننا نسير على الطريق الصحيح؛ ذلك أنه بقدر ما تتردد كلمة العلم فى مسامعنا، وبقدر ما نرى مدلولاتها قائمة أمامنا، بقدر ما ندرك أن الهدى قاد خطانا، وأن الصواب كان لها المرشد والدليل؛ ذلك أن عقيدتى الثابتة هى أن العلم على اختلاف نواحيه هو الوسيلة الحقيقية لتطوير مجتمعنا.

والواقع أنه دون العلم تصبح كل الأحلام التى تجيش فى صدورنا كسراب الصحراء وهماً لا وجود له، وإنما يد العلم وحدها هى القادرة على أن تحول أحلام الشعب إلى واقع حى، وأن تترجم آماله إلى خطط واضحة النهج، كذلك فإن جذوة النار المقدسة التى تتوهج فى قلوبنا لا تلبث أن تتحول إلى رماد، ما لم يستطع العلم أن يحول حرارتها إلى طاقة خلاقة بناءة. وإذا كنا نلخص اليوم غاياتنا فى إقامة مجتمع ديمقراطى اشتراكى تعاونى، فلست أرى وسيلة غير العلم، تستطيع أن تمضى بنا إلى هذه الغايات وأن تحقق وجودها.

obeikandl.com

إن العلم هو طريق الحرية الحقيقية، والجهل هو أشد ألوان العبودية ظلامًا، كما أن قيوده وسلاسله هى أثقل القيود والسلاسل، بل إن الظواهر فى العالم من حولنا لتوحى بأن احتكار العلم سوف يصبح الشكل الجديد للاستعمار. ولقد كانت الجيوش الغازية فى الماضى هى وسيلة السيطرة، ولإن كانت الشعوب التى سعت للحرية قد اصطدمت بالجيوش الغازية وأخرجتها من بلادها.. فإن هذه الشعوب اليوم تواجه تحديًا أخطر على حريتها من غزو الجيوش؛ ذلك هو احتكار العلم. ولقد كان العالم فى الماضى ينقسم إلى قسمين: شعوب غازية وشعوب مقهورة، ونحن الآن نرى القسمة تتخذ شكلاً آخر: شعوب تعلم وشعوب لا تعلم، ولسوف تصبح القوة نصيب الذين يعلمون، أما الذين لا يعلمون فإن الحرية بالنسبة لهم تصبح كلمة جوفاء، لا تحمل فى طياتها أى قيمة أو أى عمق.

من هنا، كانت عقيدتى أن الحرية اللازمة لصنع المجتمع الديمقراطى لابد أن تنهض على أساس من العلم، بل هى بحكم العصر وطبيعته لا يمكن أن تنهض على غير هذا الأساس، كذلك الاتجاه الاشتراكى لمجتمعنا؛ وإذا كانت زيادة الإنتاج هى طريق الاشتراكية الصادقة، فإن العلم بدوره هو طريق زيادة الإنتاج.

إن الاشتراكية ليست مجرد أن نعدل فى توزيع ما نملكه، وإنما أول الاشتراكية أن يكون لدينا أصلاً ما نملك أن نوزعه، وأنتم ترون من الإحصائيات التى تعرفونها جميعاً أن الذى نملكه لا يفى. ومع إيمانى الكامل بضرورة وجود أساس عادل للتوزيع على كل مستوى.. فإن زيادة الإنتاج هى أقدر الأسس على فتح آفاق الفرص الكريمة أمام العدد الأكبر من أبناء شعبنا، والطريق إلى زيادة الإنتاج – إلى الاشتراكية – أفكار تتحول إلى خطط، ثم إلى مصانع، ثم تجئ وفرة الإنتاج، والأفكار علم والخطط علم والمصانع علم.

كذلك.. فإن التعاون – وهو الصورة الثالثة من صور المجتمع الذى نسعى لإقامته – لا يمكن أن يقوم إلا إذا قام العلم بالتمكين له؛ ذلك إن التقدم فى نواحى العلم تحقيقاً لحرية الأمة فى الخارج والداخل، وذلك إن زيادة الإنتاج تمهيداً لطريق الاشتراكية الحقة لا يمكن أن يحقق النتائج المرجوة منه ما لم تستطع القيم الروحية والمعنوية أن تباشر دورها الكبير. وإذا كان العلم هو الذى يصنع

القوة، والعلم هو الذى يحقق زيادة الإنتاج.. فإن العلم أيضًا هو القادر على تمكين القيم الروحية والمعنوية من إقامة إطار يشد المجتمع كله إلى بعضه، ويربط إمكانياته كلها برباط الوحدة والتضامن. وإن عالمنا لتشتد حاجته اليوم إلى تمكين القيم الروحية والمعنوية من مباشرة دورها الكبير، ذلك أن الشوط قد مضى به بعيدًا فى مجالات القوة وزيادة الإنتاج، فى حين تقاعد المجال الروحى والمعنوى عن المضى إلى نفس البعد.

وإن الأزمة التى يعيش فيها عالمنا لتحمل مظاهر هذا الوضع الخطير؛ إن أبرز أسباب أزمة عالمنا اليوم أن طاقاته المادية غلبت طاقاته الروحية، وأصبحت عضلاته أقوى من عقله، هكذا أصبحت القوى الهائلة التى تفجرت أمامه وأسلمت له قيدها مبعث خطر عليه. وإذا كان من بشائر التطورات الأخيرة فى الميدان الدولى أن ثمة وعياً كبيراً اليوم للأخطار، التى تتعرض لها البشرية كلها إذا ما استعملت هذه القوى الهائلة الجديدة بطيش وَرُعونة وبدون ضابط من القيم الروحية والمعنوية.. فإن علينا أن نعى خطة هذا التطور، وأن نستفيد منه داخل مجتمعنا؛ ذلك أن قوة التقدم العلمى والتقدم الناشئة من زيادة الإنتاج يمكن أن تصبح مصدر خطر، ما لم تستطع القيم الروحية والمعنوية أن تساير خطاها، بل تسبقها لتمهد لها. والعلم فى المعامل ضرورة، والعلم فى المصانع ضرورة، ولكن العلم فى قلوب الناس وفى ضمائرهم ألزم الضرورات.

أيها المواطنون:

إن تقتى لا تحد بأن هذه الجمهورية العربية المتحدة – التى تقف ثابتة بإحدى قدميها فى آسيا، والقدم الأخرى فى إفريقيا فى هذا المكان من العالم، الذى انبعثت منه إشعاعات العلم لأول مرة؛ لتنسج خيوط الحضارة الأولى للإنسان – تعرف دور العلم فى مستقبلها كما عرفته فى ماضيها.. إنه وسيلة التفكير والتعبير ومن ثم التطوير.. إنه وديعة الله الغالية فى قلب الإنسان وعقله.. إنه قبس روحه يضئ المشاعل، التى يحملها الرواد لتنير الطريق للملايين المتقدمة وراءهم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

١٩٥٩/١١/١٩

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى حفل عشاء لاستقبال الأمير "سيهانوك" رئيس وزراء كمبوديا

■ **سيادة الرئيس:**

يسرنى أبلغ السرور، ويسر شعب الجمهورية العربية المتحدة معى، أن نرحب بكم هنا فى بلادنا أخًا كريمًا وصديقًا عزيزًا.

وليس أمتن من أخوة الأفكار المتقاربة رغم بعد المسافات، ولا أقرب من صداقة الكفاح المشترك رغم اختلاف الظروف.. إن هذه الأفكار وذلك الكفاح هما الدعائم الحقيقية للفهم المتبادل، الذى ينبغى أن تقوم عليه العلاقات بين الدول وتتوطد وتزدهر.

وقد كنا نشعر – فى كثير من الأحيان – أننا نفهم عدداً من الظروف التى واجهتكم.. شعرنا أننا نفهم موقفكم حين أصررتم على التزام سياسة محايدة.. وشعرنا أننا نفهم موقفكم حين رفضتم – أمام جميع أنواع الضغط – الانضمام إلى الأحلاف والكتل.. وشعرنا أننا نفهم موقفكم، حين واجهتم جميع الظروف التى كانت تهدف إلى التأثير فى اتجاهاتكم السياسية.. شعرنا أننا نفهم موقفكم فى هذا كله لأننا بدورنا واجهنا أنواعاً مما واجهتموه، بل ولقد وصل الأمر فيما واجهناه إلى حد العدوان المسلح علينا فى ظروف نحتفل هذه الأيام بالذكرى الثالثة لانتصارنا فيها.

ولا يخالجنى شك – يا سيادة الرئيس – فى أن الحرية سوف تنتصر فى جميع معاركها ضد الذين يحاولون أن يعوقوا سيرها أو يحولوا تيارها عن قصده الواضح الأصيل، لا يخالجنا شك فى أن الحرية سوف تنتصر؛ لا فى بلادنا وبلادكم فقط، وإنما سوف تنتصر الحرية فى كل بلد يؤمن بها ويسعى من أجلها.

وإن أخوة الأفكار وصداقة الكفاح التى تجمع بين شعبينا لا تربطهما وحدهما، إنما هذه الأخوة وهذه الصداقة تجمع معنا شعوبًا كثيرة فى آسيا وإفريقيا؛ قاست نفس الليل الذى قاسينا ظلامه، وتعيش الآن فى نفس الفجر، الذى نحاول أن نتلمس فيه خيوط النور، وستطلع الشمس مشرقة ساطعة على آمالهم وأمانيهم، التى طالما تطلعوا إليها خلال الليل الطويل.

سيادة الرئيس:

إن زيارتكم لبلادنا فى هذه الظروف فيها – بصرف النظر عما تحويه من معانٍ تربط بلدينا – معنى آخر يتصل بالباقين من إخواننا فى الأفكار المتقاربة وأصدقائنا فى الكفاح المشترك. إن معانى زيارتكم لبلادنا الآن هى ما يبدو فيها من استجابة للظروف الخطيرة التى يواجهها عالمنا الآن.

إننا نعيش الآن – يا سيادة الرئيس، كما لعلكم توافقون معى – فى ظروف من تلك الظروف الحاسمة فى مجرى التاريخ. وإذا كانت البشرية، بعد ما بدا من علامات الاتجاه إلى التعايش السلمى؛ الذى طالما نادينا به بين الكتل الكبرى، تستشرف وديانًا خصيبة من الآمال فى السلام؛ فإن علينا – نحن الذين حاولنا طاقتنا خلال باندونج وقبل باندونج وبعدها – أن نعتبر أن الآمال الجديدة تحمل إلينا مسئوليات كبيرة.

وإن تحقق بعض ما نادينا به لا يجب أن يجعلنا – نحن شعوب آسيا وإفريقيا – نتصور أن مهمتنا قد انتهت، وأن دورنا تحول إلى غيرنا، وإنما نحن نرى أن العكس من ذلك هو ما ينبغى أن يكون. إن شعوب آسيا وإفريقيا فى

حاجة اليوم إلى التشاور والتقارب والتعارف أكثر مما كانت فى حاجة بالأمس إلى هذا كله.

ولقد كان دورنا فى منع الحرب والحيلولة دون نشوبها أمرًا بالغ الأهمية، ولكن أهم دور لنا هو دورنا فى إقرار السلام على أسس من الحق، الذى لاينحرف ولا ينحاز، وإلا فلو أن السلام الجديد لم يقم على الحق والعدل، لكان سلاماً لا عمر له ولا رجاء بعده.

يا سيادة الرئيس:

دعنى أقول لكم: إننا نعتبر الرحلة التى حملتكم إلى بلادنا مساهمة إيجابية فى خلق تفاهم يؤدى إلى دعم السلام؛ وما من شك أن ذلك المعنى سوف يكون فى حد ذاته تبريرًا نبيلاً لكل ما تبذلونه من جهد خلالها. وإنى لأتمنى لكم إقامة سعيدة فى بلادنا، وعودة موفقة إلى بلادكم.

واسمح لى – يا سيادة الرئيس – أن أحيى شعب كمبوديا الصديق، وأرجو له كل عز ورفاهية، وأحيى جلالة ملك كمبوديا، وأحييكم يا سيادة الرئيس، راجيًا لكم أن تتوطد صداقتنا على مر الزمن.

١٩٥٩/ ١١/ ٢٠

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى حفل عشاء للأمير سيهانوك

■ **سيادة الرئيس:**

فى الساعات الأخيرة لزيارتكم لبلادنا، تتنازعنا مشاعر شتى، إننا نشعر بالسعادة الغامرة لزيارتكم لبلادنا، وفى نفس الوقت نحس بالأسف لأن هذه الزيارة توشك أن تنتهى، ولقد استطعتم - أيها الصديق العزيز - خلال الأيام القليلة التى قضيتموها بيننا أن توثقوا الصلات، التى قامت بين بلدينا بحكم الظروف المشتركة والكفاح المتشابه رغم بعد المسافات.

لقد أضفتم إلى هذه الروابط كلها خلال الأيام القليلة الماضية حرارة نابضة، ذلك أنكم استطعتم خلال هذه الفترة القصيرة أن تكونوا رمزًا حيًّا للصداقة بين شعبينا، وهى صداقة لا شك ستزدهر وستدوم.

وإذا كنا نؤمن - يا سيادة الرئيس - أن الكفاح المشترك، وأن الظروف المتشابهة تقرب الشعوب.. فإن الصلات الشخصية والزيارات المتبادلة والتقارب المادى بعد التقارب المعنوى لهو خير ما يدعم هذا القرب ويشد عراه.

وإننا نشعر أنكم بزيارتكم لبلادنا قمتم بخطوة إيجابية صادقة العزم فى تدعيم هذا التقارب، الذى هو بدورة خطوة كبيرة فى تدعيم التضامن الإفريقى - الآسيوى، وهو تضامن بالغ الأهمية، ليس بسبب حاجة الدول الإفريقية -

الآسيوية ذاتها إلى هذا التضامن فحسب، وإنما بسبب حاجة العالم إلى الدور البناء؛ الذى يمكن لهذا التضامن أن يؤديه فى مجال خدمة السلام العالمى.

سيادة الرئيس:

لقد أسعدنا أن نسمعكم تؤكدون عزمكم الحازم على دفع حركة التعاون القائمة بين الأمة العربية والأمم الإفريقية والآسيوية، وترجمت هذا التعاون عمليًّا بعلاقات دبلوماسية وثقافية واقتصادية بين بلدينا، وأن العبارات القوية التى عبرتم بها عن هذا العزم، لتلقى من شعبنا استجابة كاملة وتقديرًا عميقًا، وإنى لواثق إننى أعبر عن شعبنا العربى أصدق التعبير، حينما أطلب منكم - يا سيادة الرئيس - أن تحملوا معكم إلى شعبكم العظيم إعجابنا بكفاحه، وآمانينا الصادقة فى أن يصل هذا الكفاح إلى أهدافة الكبرى ظافرًا منتصرًا.

واسمح لى، فى الختام، أن أحيى شعب كمبوديا الصديق، وأن أحيى عاهل كمبوديا، وأن أحيى جهودكم المتفانية من أجلها.

أيها السادة أرجوكم أن تشتركوا معى فى تحية سمو الأمير "سيهانوك"، رئيس وزراء كمبوديا.

٢٦ / ١١ / ١٩٥٩

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى نقابة المهندسين بالجامعة

احتفالاً ببدء تنفيذ مشروع السد العالى

■ **أيها المواطنون.. أيها المواطنون:**

يسعدنى أن أشترك اليوم معكم – مع المهندسين – فى الاحتفال ببدء تنفيذ السد العالى، وأنتهز هذه الفرصة؛ لأعبر للمهندسين عما يكنه لهم أبناء الشعب من تقدير، وعن الأمل الذى يضعه الشعب جميعه فى قدرة المهندسين على تحقيق هذه البرامج الكبرى، التى نعمل من أجلها لخير الشعب، ومن أجل مصلحة الشعب. والشعب سيستطيع التعبير، وقد لا يستطيع التصوير، وتعبير الشعب فى هذه الحالة هو تعبير من قلبه وروحه وإحساسه. والكل يعلم أننا فى هذه المرحلة من تطوير بلدنا، نلقى العبء الكبير على جيش المهندسين، والكل يعلم أننا نحتاج إلى عدد أكبر، والكل يعلم أن المهندسين موزعون فى جميع الجمهورية؛ فى الصحارى وفى مشاريع الرى وفى كل مكان؛ من أجل تحقيق المجتمع الذى نتمناه، ومن أجل تحقيق التطوير الذى نصبو إليه.

هذا تعبير عن تقدير الشعب لكم، وتعبير عن آمال الشعب فيكم وفى جهدكم لبناء المستقبل الذى نريده والذى نتمناه. ولا يمكن بأى حال من الأحوال بالأموال فقط أن نبنى وطننا أو نطور بلدنا، ولكنا – كما قلت دائماً – نحتاج إلى

obeikandl.com

هذه العزيمة.. عزيمة البشر التى تتمثل فيكم وفى جهدكم، وفى مثابرتكم على العمل الطويل.. العمل المتعب والمثمر فى نفس الوقت.

فإذا كنا نحتفل اليوم بالبدء فى تنفيذ مشروع السد العالى، فإن للسد العالى معانى كبيرة.. معانى هندسية ومعانى عمرانية، وفى نفس الوقت معانى روحية ومعانى معنوية.

لقد تركزت المعارك طوال السنين الماضية على السد العالى، وكنا نعلن أو نأمل أن نستطيع أن نبنى هذا السد، بمساعدة من استطاعوا أن يجدوا الخبرة فى باقى أنحاء العالم، وكنا نحاول أن يكون هذا السد مصدر خير لنا، وفى نفس الوقت نحاول ألا يرتبط بناء هذا السد بأى شرط أو بأى قيد. وجابهنا معارك طويلة، وجابهنا ضغوطاً كثيرة، ولكنا صمدنا.. صمد هذا الشعب الأبى الكريم؛ من أجل أن يحقق البناء الاقتصادى، وفى نفس الوقت يحافظ على عزته وعلى استقلاله. وكان فى بعض الأحيان.. كان بِيبَان أو بيظهر إن من المستحيل أو من الصعب إن احنا نستطيع أن نضع هذه الفكرة – التى صورها البعض بأنها فكرة خيالية – موضع التنفيذ.

هذه الفكرة، التى جابهنا من أجلها أو من أجل تحقيقها هذه المعارك الكبيرة، توضع اليوم موضع التنفيذ. ثمار هذا المشروع سيستفيد منها الشعب بعد ١٠ سنين أو بعد ٩ سنين أكثر مما حنستفيد منها النهارده أو السنة الجايه أو السنة التالتة أو السنة الرابعة. وبهذا بندى مثلاً كبيرًا للعالم؛ إزاى الشعب وهو بيبنى نفسه ما بيبنيش ليومه بس ولكن بيبنى ليومه ولغده، ما بيبنيش للجيل القائم فقط ولكن بنبنى لهذا الجيل وبنبنى أيضًا للجيل اللِّى يأتى من بعدنا؛ ليجد الأساس وليجد القاعدة الوطيدة اللى يستطيع أن يبنى عليها التطور اللى يريده ليحقق المجتمع اللى نتمناه واللى كنا دائماً بنعمل من أجله.

أنتهز هذه الفرصة لأعبر عن تقدير شعب الجمهورية العربية المتحدة للمعاونات التى أُعطيت لنا؛ من أجل تنفيذ مشروع السد العالى من الاتحاد

السوفيتى، يدخل فى هذا القرض الذى اتفقنا عليه من أجل تمويل عملية البنـــاء، ويدخل أيضاً المعونة الفنية اللى بيقوم بها الفنيين السوفيتيين؛ من أجل بناء هـــذا السد، بالاشتراك مع المهندسين العرب.

اللى بيجرى النهارده فى بلدنا هو نتيجة تطور ومحصلة معـــارك كبيـــرة؛ بنبنى السد العالى.. بنبدأ فى تنفيذ السد العالى اللى بُذِلَ المستحيل حتى لا يُنَفَّـــذ، بنصنع بلدنا، بنطور زراعتنا، بنطور كل فرع من أفرع الخدمات المختلفة، وفى نفس الوقت بنبنى البناء المعنوى.. بنبنى الاتحاد القومى الذى يجمع هذا الشعب. وبهذا نسير فى الناحية الاقتصادية مع الناحية المعنوية؛ هذه المشاريع مع الـــسد العالى تمثل الناحية الاقتصادية، بناء الاتحاد القومى وتعبئة الشعب بجميع أفراده بيمثل الناحية المعنوية، ويمثل حجر الزاوية فى البناء الاجتماعى.

كانت آمال شعبنا دائماً فى الماضى تتجه لمثل هذا اليوم قبل الثورة وبعـــد الثورة، ولا يمكن أبداً بأى حال من الأحوال أن نتصور أن الثورة هـــى عمليـــة هدم فقط، ولكن الثورة هى عملية تحضير وبناء. تصور أن الثورة هى عمليـــة هدم فقط، وليس لها من عمل إلا الهدم بيكون التصور خـــاطئ، ولكـــن الثـــورة بتتخلص من آثـــار الماضى.. الآثـــار اللى ورثناها نتيجة عوامل فرضت علينا – عوامل خارجية وعوامل استغلالية داخلية – كل دا أما بنتخلص منه ليس إلا إعداداً للبناء؛ بنحط الأساس علشان نطلع البناء بناء سليم. والثورة فـــى وضـــع ذاتها بتمثل الشعب، أو هى تعبير عن إرادة الشعب اللى بيجد أن مستقبله لا يتجه حيث تتجه آماله؛ بيجد إن آماله بتتجه فى طريق، ولكن مستقبله اللـــى فـــرض عليه؛ سواء بفعل السيطرة المعنوية الخارجية أو السيطرة المـــستغلة الداخليـــة، بتفرض على مستقبله أن يتجه إلى طريق آخر؛ فبتقوم الثورة؛ علـــشان توجـــه طريق المستقبل إلى طريق الآمال اللى بيشعر به كل فرد. وبهذا احنا كنا بننتظر هذا اليوم من قبل الثورة ومن بعد الثورة، وكنا نريد أن نـــرى القـــوى الماديـــة والقوى المعنوية تسير جنبًا إلى جنب؛ ليكمل بعضها البعض.

منذ قامت الثورة، كان الهدف أن نتجه إلى المستقبل ونحقق الآمال؛ نرفع مستوى المعيشة، نبنى مجتمعاً متحرراً من أى نوع من أنواع الاستغلال، ثم نطور هذا المجتمع حتى نستطيع أن نعيش فى مجتمع ترفرف عليه الرفاهية. وكانت أهداف الثورة المحدودة البسيطة، اللى كانت كلماتها قليلة هى تعبير عن الطريق اللى يعبر عن آمال الشعب، واللى الشعب كان يثور علشان يحول مستقبله ليسير فى هذا الطريق.. بنقضى على الاستعمار وعلى أعوان الاستعمار والعملاء، ثم نقضى على الإقطاع، ثم نقضى على الاحتكار وسيطرة رأس المال، ونقيم عدالة اجتماعية، وجيش وطنى قوى، وحياة ديمقراطية سليمة.

كل العوامل دى مع بعض بتمثل البناء المعنوى، وفى نفس الوقت بتمثل البناء الاقتصادى والبناء المادى. طبعاً بنحتاج للإعداد للبناء فى الناحية الاقتصادية، ثم نحتاج للإعداد للبناء أيضًا فى الناحية الاجتماعية، ثم نحتاج للبناء فى الناحية المعنوية.

تبلورت هذه الأهداف لتعبر عن المجتمع فى السنين السبع الماضية، وتوصلنا إلى كلمات قليلة هى تعبير عن طريق آمالنا؛ إن احنا نريد أن نبنى أو نريد أن نقيم المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى؛ هذا المجتمع تعبير عن عقيدة، وفى نفس الوقت تعبير عن أمانى. وزى ما قلت فى الماضى: مافيش كتاب عنوانه "الاشتراكية الديمقراطية التعاونية"، ولكن احنا بنبنى هذه الاشتراكية الديمقراطية التعاونية حجرًا حجرًا وطابقًا طابقًا، لغاية ما نصل إلى الهدف اللى بنتمناه، وفى نفس الوقت بنغير ونطور فى أفكارنا؛ حتى نصل إلى المجتمع اللى بيتمناه كل فرد؛ مجتمع ترفرف عليه الرفاهية. هى فى نفس الوقت تعبير عن معنى كبير يمكن كنا بنشعر بأوزاره فى الماضى؛ هذا المعنى هو أن نخلق مجتمعاً متحرراً من الاستغلال الاقتصادى، ومتحرراً من الاستغلال الاجتماعى ومتحرراً من الاستغلال السياسى.

حتى نحقق هذا المجتمع، فيه عدة عمليات لابد أن تجرى سويًا.. فيه أشياء كثيرة بتحصل مع بعض بالنسبة للبناء الاقتصادى، ثم بالنسبة للبناء الاجتماعى،

وأيضاً بالنسبة للوضع السياسى.. كان لابد أن نقضى على الإقطاع، وكان لابد أن نقضى على الاحتكار، وكان لابد أن نقضى على سيطرة رأس المال؛ حتى تكون هناك فرص متكافئة لكل المواطنين، وحتى تكون هناك عدالة حقيقية، وحتى تكون هناك حرية للفرد؛ إذ لا يمكن لمجتمع أن يشعر بالحرية، إذا كان الفرد لايشعر فى هذا المجتمع بالحرية الكاملة.. الحرية الاجتماعية والحرية السياسية.

بعد هذا كان علينا أن نمنع بكل طاقتنا أن يتسلل الإقطاع مرة أخرى، أو أن يتسلل الاحتكار أو سيطرة رأس المال. وكان علينا أيضاً فى نفس الوقت أن نحرر الاقتصاد من السيطرة الأجنبية، وأن نعمل على إقامة بناء اقتصاد وطنى خالص.

دا كان الأساس اللى لازم نعمله علشان نقيم هذا المجتمع. وعلشان نقيم مجتمع متحرر من الاستغلال بكل معانيه والاستغلال بكل صوره.. كان لابد أن نغير الأوضاع، التى ورثناها نتيجة الاحتلال الأجنبى ونتيجة السيطرة المستغلة، ثم كان علينا أيضاً أن نطور هذه الأوضاع؛ حتى نحقق العدالة الاجتماعية.. وأيضاً كان علينا أن نزيد من الإنتاج؛ حتى نحقق المجتمع الذى نريد، ونفتح آفاقًا جديدة فى الإنتاج؛ الإنتاج الصناعى والإنتاج الزراعى، ثم نتوسع فى جميع الفروع الأخرى.

وكان لابد علينا ونحن نعمل على زيادة الإنتاج، ونحن نعمل أيضاً على وضع هذا الأساس.. أن نعمل على أن يكون التوزيع بطريقة تحقق العدالة الاجتماعية. كان السبيل للقضاء على الاستغلال الاقتصادى والاجتماعى فى الزراعة هو تحديد الملكية، توزيع الأرض على الفلاحين، إقامة جمعيات تعاونية للملاك الجدد، وفى نفس الوقت زيادة الرقعة الزراعية وتوزيع الأرض على الفلاحين. بهذا نستطيع أن نشعر أن الاستغلال بالنسبة للفلاحين وصل إلى وضع لا يمكن أن يشعر به الفلاح؛ بمعنى إن الفلاح حيكون مالك، وإذا كان الفلاح مالكاً بدل أن يكون أجيراً عند الإقطاعى، فهو حر، بنشعر إن الفرد تحرر. إذا أصبح الفرد متحرر وآمن على يومه، وآمن على غده وآمن على مستقبله؛

بيستطيع أن يعبر عن إرادته بحرية، ويستطيع إنه يقول أيوه أو يقول لأ.. كلنا نعرف فى الماضى إزاى كان الفلاح الأجير لا يستطيع أن يعبر عن إرادته؛ لأن هذا التعبير كان يؤثر فى مستقبله، بل كان يؤثر فى معيشته كلها.

إننا بهذا العمل حولنا جزءًا كبيرًا من الأجراء إلى ملاك؛ أصبح لهم كيان فى هذا الوطن، وأصبحوا يشعرون بالمساواة فى هذا الوطن، وفى نفس الوقت أقمنا لهم الجمعيات التعاونية؛ من أجل تسهيل جميع الفرص وجميع الوسائل بالنسبة لهم؛ بهذا بنقضى فعلاً على الاستغلال الاقتصادى والاستغلال الاجتماعى بالنسبة للريف. ودا طبعاً بيقود إلى إن احنا نقضى على الاستغلال السياسى؛ لأن الفرد إذا تحرر، فلن يستطيع أى فرد آخر أن يملى عليه إرادته، وإذا أردت أن أحرره فيجب أن أحرره أولاً اقتصاديًا واجتماعيًا؛ حتى يستطيع أن يكون قادرًا على أن يباشر الحرية السياسية. وكانت الحرية السياسية فى الماضى كلمة جوفاء؛ لأن الفلاح كان يشعر بالاستغلال الاقتصادى والاستغلال الاجتماعى، وكان يشعر أنه لا يتمتع بحرية اقتصادية، أو بحرية اجتماعية.

طبعاً هذا العمل هو عبارة عن إعادة توزيع وسائل الإنتاج الزراعية؛ بدل ما كانت فى يد عدد محدود من الناس، أصبحت فى يد عدد أكبر، وبدل ما كانت فيه ناس محرومة من أنها تملك هذه الوسائل، أصبح هؤلاء الناس قادرين على أن يكونوا مُلاك، مُلاك صغيرين ولكن عندهم وسائل إنتاج.. اقتصادها قد يكون ضعيف، ولكن حينما تجمعها الجمعيات التعاونية بتمثل اقتصاد قوى، وفى نفس الوقت بنزيد الرقعة الزراعية. والسد العالى فى حد ذاته يمثل العمل الرئيسى فى زيادة الرقعة الزراعية؛ حتى نزيد وسائل الإنتاج بالنسبة للفلاحين، وحتى نوزع هذه الأرض بالنسبة للفلاحين.

هذا الأساس يُتّبع أيضًا بالنسبة للإقليم السورى.. بنقضى على الاستغلال الاقتصادى والاستغلال الاجتماعى فى الزراعة بإنهاء الإقطاع، ثم بتوزيع الأرض على الفلاحين؛ لإقامة فعلاً مجتمع يشعر بتكافؤ الفرص ويشعر

بالمساواة، أيضًا توزيع أراضى الدولة فى الإقليم السورى على الفلاحين المعدمين أو الفلاحين، اللِّى كانوا بيعملوا أجراء.

دا الجزء الأساسى اللى هو تغيير فى المجتمع اللِّى ورثناه؛ علشان فعلاً نقيم مجتمع حسب أمانينا، وحسب الآمال اللى بتساور كل النفوس وكل القلوب؛ وبهذا بنقضى على السيطرة وبنقضى على الاستعباد.. كنا بنشعر فى الماضى إن الفلاح لا يمكن أن يشعر إنه سيد نفسه، وإن بيكون فيه سادة وفيه فلاحين؛ سادة بيفرضوا إرادتهم، بيستَغلوا اجتماعياً.. بيستَغلوا اقتصادياً.. وبالتالى بيستَغلوا سياسياً. النهارده بهذه الطريقة وبإعادة تشكيل المجتمع يشعر كل فرد فى بلده إن هو سيد فى هذه البلد، وإن عليه واجبات وله حقوق، وإن مافيش حد حيقدر يباشر معاه الاستغلال السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى.. كل واحد يستطيع أن يعبر عن رأيه وهو آمن مطمئن؛ مافيش حد حيطرده من بيته، مافيش حد حيطرده من الأرض لأن الأرض ملكه. بهذا بنحقق فعلاً هذه الآمال وبنمشى فى تكوين المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى.

حتى نستطيع فعلاً أن نتخلص من الاستغلال الاقتصادى، ونتخلص أيضاً من الاستغلال الاجتماعى، كان أيضاً علينا أن نتخلص من أوضاع ورثناها.. فُرضت علينا من الماضى.. خرجنا وجدناها موجودة فى بلدنا. السيطرة الأجنبية بالنسبة للاقتصاد: إقامة اقتصاد وطنى، إقامة صناعة وطنية، فى نفس الوقت تحويل المؤسسات الأجنبية الأساسية إلى مؤسسات وطنية. وفعلاً بعد العدوان أُممت أغلب المؤسسات الأجنبية الموجودة؛ البنوك، شركات التأمين، ثم المؤسسات الصناعية الموجودة، وأصبحنا فعلاً سادة فى وطننا من الناحية الاقتصادية، وأصبحنا نشعر أن هناك ركيزة وأساس من الاقتصاد الوطنى، نستطيع أن نبنى على هذه الركيزة، ثم نستطيع أن نطور وطننا؛ حتى نحقق المجتمع اللى بنريده واللى بنتمناه.

فى نفس الوقت كان لابد أن نتوسع فى التصنيع؛ فى الصناعات الأساسية وفى الصناعات الاستهلاكية، وكان هذا جهدًا كبيرًا، واعتقد البعض إن احنا لن

نستطيع أن نسير فى هذا الطريق؛ نظرًا للنقص فى الخبرة الفنية أو فى الأموال اللازمة للاستثمار، ولكن استطعنا – رغم هذا – إن احنا نسير فى التنمية الصناعية، وأن نحقق برنامج الصناعة فى زمن، أقل من الزمن اللى كان محدد له.

وكان علينا أيضًا أن ننظر إلى تنظيم المجتمع من ناحية الصناعة؛ حتى نتخلص من الاستغلال الاقتصادى والاستغلال الاجتماعى، وكان علينا أن نطبق نظام المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى بالنسبة للصناعة. السبيل إلى هذا هو إقامة قطاع اشتراكى فى الصناعة وقطاع تعاونى فى الصناعة؛ حتى لايسيطر الاحتكار، وحتى لا يسيطر رأس المال، وحتى نستطيع أن نوجد الفرص المتكافئة، والعمل فى نفس الوقت على توسيع هذا القطاع الاشتراكى؛ بحيث لا يستطيع الاحتكار – بأى وسيلة من الوسائل – أن يتسلل إلينا مرة أخرى.

طبعاً بدأ تكوين القطاع الاشتراكى فى الصناعة بمساهمة الحكومة فى الصناعات الجديدة، ثم تملك الحكومة للصناعات التى طُبقت عليها قوانين التمصير بعد العدوان الثلاثى؛ الصناعات الأساسية اللى كانت مملوكة لبريطانيا، وكانت مملوكة لفرنسا. ومعنى هذا إن هذه المؤسسات أصبحت ملك للشعب، وأصبحت تعبر عن القطاع الاشتراكى، وأصبحت الحكومة تمثل القطاع الاشتراكى فى المؤسسة الاقتصادية – اللى هى تمثل المؤسسات الحكومية – وفى مؤسسة مشروعات السنوات الخمس، وفى مؤسسة أو هيئة المصانع الحربية.

تنفيذ الاشتراكية التعاونية فى الصناعة بدأ بأن الحكومة بتدخل كطرف فى الصناعة؛ حتى لا تترك الصناعة للاحتكار أو لسيطرة رأس المال. والحكومة فى هذا إنما تمثل الشعب، وتقيم توازناً حتى بين الملكية الخاصة والملكية العامة؛ لا تستطيع الملكية الخاصة – مهما تكتلت – إنها تفرض أى شىء يمكنها من الاستغلال الاقتصادى أو الاستغلال الاجتماعى. وسارت الحكومة على أن تكون هذه المؤسسات إما ملكية حكومية كاملة، أو ملكية مختلطة بين الحكومة وبين

رأس المال الخاص – اللى هم المدخرين أو المساهمين – وفى نفس الوقت سارت الحكومة، على أساس أن تخلق وتدعم هذا القطاع الاشتراكى؛ ليسير جنبًا إلى جنب مع رأس المال الخاص، ثم لتوسع هذا القطاع الاشتراكى، ثم تشجع القطاع التعاونى.

وسرنا فى هذا فى عدة ميادين؛ منها: ميادين البترول، الصناعات الثقيلة، الصناعات الخفيفة، الصناعات الاستهلاكية. ولابد أن يتطور هذا بحيث بتبدأ الجمعية التعاونية فى الصناعة.. جمعيات تعاونية صناعية؛ بمعنى مثلاً الجمعيات التعاونية اللى أقاموها الفلاحين، وهم بينشئوا صناعة المواد اللازمة لهم، زى المواد اللازمة لمقاومة الآفات أو لمقاومة الحشرات. وبهذا نستطيع إن احنا نشوف فعلاً المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى، اللى متحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى.

فى القطاع التجارى ورثنا أيضًا أوضاع، ويجب أن نشكل القطاع التجارى بحيث يتمشى مع طريق أمانينا، والطريق اللى احنا بنصمم على أن يكون متحررًا من الاستغلال الاجتماعى والاستغلال الاقتصادى. والوسيلة لهذا فى قطاع التجارة إن احنا يجب إن احنا نشعر أن التجارة ليست إلا عملية توزيع بدون استغلال، ولكن توزيع لقاء عمولة عادلة؛ وبهذا بنقضى فعلاً على الاستغلال بكل معانيه.. بتدخل أيضًا الحكومة فى هذا القطاع بالنسبة للنواحى الأساسية وتمثل القطاع الاشتراكى، بتدخل الجمعيات التعاونية – والشعب بيعمل على إقامة جمعيات تعاونية استهلاكية – والجمعيات التعاونية الاستهلاكية تعمل على إقامة جمعيات تعاونية للجملة؛ وبهذا لن نمكن للاستغلال أن يتسلل مرة أخرى، وبهذا نكون فعلاً وضعنا أسس المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى اللى بيمثل أمانينا.

كل دا طبعاً بيسير جنبًا إلى جنب مع النشاط الخاص؛ على أن يكون هذا النشاط وفقًا للمصلحة العامة للشعب، ولا يمثل أى نوع من أنواع الاستغلال الاقتصادى أو الاستغلال الاجتماعى.

أيضًا فى قطاع الإسكان.. بنبص للمجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى فى المساكن.. هناك مساكن تمثل الملكية الخاصة، ولكن حتى نتحرر من الاستغلال ونقضى على الاستغلال برضه لازم بتكون هناك اشتراكية وتعاونية فى هذا الميدان.. اشتراكية بمعنى إيه؟ الحكومة بتقوم بأنها بتبنى أبنية يمكن للطبقات المحدودة، ولكن دا بيمنع الاستغلال، ثم بنطور هذا؛ بنبنى أبنية للطبقات المتوسطة، وفى نفس الوقت بنساعد الجمعيات التعاونية، اللّى بيقيمها الشعب على إنها تبنى مساكن تعاونية أو عمارات تعاونية؛ وبهذا بنقضى على الاستغلال أيضاً الاجتماعى والاقتصادى فى هذا الميدان.

طبعاً كل يوم بنشوف صور مختلفة لازم نعالجها، زى احنا أمَّا بنحاول نعالج كل مجتمع بيبقى فيه محاولات للاستغلال أيضًا، هى بتعمل هذه المحاولات، بتخلق خطط جديدة وبتحاول تتسلل وتتسرب بين المجتمع.. علينا أن نوقف كل هذه المحاولات.

طبعًا التحرر الاقتصادى والاجتماعى والتحرر من الاستغلال الاقتصادى والاستغلال الاجتماعى بيقودنا إلى تثبيت التحرر من الاستغلال السياسى؛ لأن التحرر الاجتماعى والاقتصادى لن يُمكّن بعد هذا للاستغلال السياسى. ولكن حتى نحقق الحرية السياسية، وحتى نحقق إقامة حياة ديمقراطية سليمة، وحتى نمنع الاستغلال السياسى.. كان لابد لنا من أن نقضى على النفوذ الأجنبى.. النفوذ الأجنبى بكل معالمه؛ الاحتلال، النفوذ السياسى، ثم النفوذ الاقتصادى، ثم أيضًا علينا أن نمنع بكل طاقاتنا وبكل الوسائل أى تسلل لنفوذ أجنبى، تحت أى اسم من الأسماء، أو تحت أى شكل من الأشكال.

وكان علينا أيضًا – زى ما قلت برضه – أن نحرر الفرد من جميع أنواع الاستغلال؛ لأن الفرد المتحرر من جميع أنواع الاستغلال هو الفرد اللى بيدافع عن المكاسب اللى حصل عليها، ويقاوم أى محاولة من محاولات الاستغلال. الفرد اللى بيخضع لسيطرة الإقطاع، أو يخضع لسيطرة رأس المال أو لسيطرة الاحتكار لا يمكن بأى حال إنه يشعر بحريته، ولا يمكن أن يقف ليدافع عن

المجتمع اللى هو عايش فيه. ولكن الفرد الحر اللّى تحرر من كل أنواع السيطرة والاستغلال بيدافع عن هذا المجتمع اللى حققه بكفاحه وبعمله، وفى نفس الوقت بيعمل على تطوير هذا المجتمع حتى يستمر فى التطور؛ لنصل إلى هدفنا الرئيسى أو هدفنا الأساسى بأن يكون المجتمع مجتمعًا حرًّا، ومجتمع ترفرف عليه الرفاهية.

إقامة حياة ديمقراطية سليمة أساسها هو تحرير الفرد؛ الفرد اللى لا يخضع لأى نوع من أنواع الاستغلال. ودا طبعاً المعنى اللى أنا عبرت عنه فى إقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى، متحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى.

طبعًا بنوصل إلى هذه المرحلة، وبعد هذا نبحث إيه الوسيلة اللى تمكننا من المحافظة على هذه المكاسب؟ إيه الوسيلة اللّى تمكننا من أن نتحد؛ لنقف ضد أى تسلل؛ إما من السيطرة المعتدية الخارجية، أو من السيطرة المستغلة الداخلية اللى قاسينا منها، وكانت دائماً تعض على استغلالها بكل الوسائل، ولا تمكن الشعب من إنه يحقق هذه الآمال؟

كان لابد أن يكون لنا تنظيم سياسى فى هذه الفترة من حياتنا، ويكون هذا التنظيم السياسى قادر على حماية أهدافنا.. الهدف هو الغاية، والتنظيم السياسى هو الوسيلة؛ الهدف.. إقامة هذا المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى، المتحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى.. التنظيم السياسى هو الوسيلة. طبعاً كان هناك من حولنا نظم مختلفة اِتبُعَت فى العالم؛ فيه نظام الحزب الواحد، وفيه نظام الأحزاب المتعددة.

نظام الحزب الواحد لم يكن فيه أى تعبير عن آمالنا أو أى مسايرة لأهدافنا؛ لأن الحزب الواحد معناه أن تحتكر فئة قليلة العمل السياسى - ٥% من الشعب، ١٠% - وباقى الشعب لا يشترك فى هذا العمل السياسى، ولكن عليه أن يكون تابعًا. معنى هذا استبعاد الغالبية الكبرى من أبناء الشعب.. معنى هذا أنه مهما

اختلفت الشعارات، أو مهما زينت هذه الشعارات.. لن يكون نظام الحزب الواحد هو تعبير عن إرادة الشعب الواحد المتحد.

وكان هناك النظام الآخر وهو نظام الأحزاب المتعددة، واحنا جربنا هذا النظام، وكان من الواضح إن هذا النظام كانت بتستغله الدول اللي بتريد أن تضعنا فى داخل مناطق النفوذ؛ حتى تضعنا داخل مناطق النفوذ. وشُفْنا مثلاً هنا فى مصر إزاى بعد ثورة ١٩ كانت الثورة وطنية وكانت الأحزاب وطنية، وبعد كِدَه هذه الأحزاب حينما تنابذت واختلفت فقد الشعب وحدته، ونتج عن هذا إن ثورة ١٩ لم تعط ثمارها كاملة، وفضلوا الإنجليز لغاية سنة ٥٦ موجودين هنا فى بلدنا؛ لأن الأحزاب تركت الهدف اللى قامت من أجله سنة ١٩، وبدأت تحاول أن تصل إلى أهدافها الخاصة فى الحكم أو السيطرة. وطبعًا كان كل واحد بيعتبر أن الغاية تبرر الواسطة؛ فالوصول إلى الحكم عن طريق الاستعمار البريطانى أو عن طريق السفير البريطانى أو عن طريق القصر، كانوا بيعتبروها هى الهدف اللى بيعمل إليه الحزب؛ ليحمى مصالحه وليحمى نفسه من انتقام الآخرين.

كان من الواضح إن تعدد الأحزاب فى الوقت الحاضر لن تكون له إلا نتيجة واحدة، وهى تسهيل النفوذ الأجنبى؛ بِنْبُص نلاقى الحرب الباردة دخلت عندنا.. طبعًا الأحزاب الرجعية ستعمل على الانحياز للغرب، ولا مانع عندها من إنها تستعين بأى قوة أجنبية؛ لتقوى من قدرتها على الوصول إلى الحكم لتحمى مصالحها، وبعد كده بيتفقوا؛ دول بيبقى لهم نفوذ - منطقة نفوذ - والدول الأجنبية أيضًا بيبقى لها منطقة نفوذ، والرجعيين بيبقى لهم نفوذ فى الداخل، وبتتعاون السيطرة المعتدية الخارجية مع السيطرة المستغلة الداخلية.

طبعًا الأحزاب الشيوعية بتنادى بالانحياز إلى الشرق، وبتعمل بكل وسيلة من الوسائل على أن تصل إلى الحكم لتقيم ديكتاتورية البروليتاريا، وبعد كده طبعًا بتفقد العناصر الوطنية. وهى - الأحزاب الشيوعية - فى سبيل الوصول

إلى الحكم بتتبع كل وسيلة من الوسائل، ثم بتتعامل مع الشيوعية الدولية؛ ودَا صُبعًا بيدخلنا مناطق النفوذ وبتضيع العناصر الوطنية.

طبعًا فى هذه التجربة من حياتنا وفى هذه المعارك اللى احنا قابلناها، كان نظام الحزب الواحد لا يناسبنا؛ لإنه عبارة عن احتكار للسياسة، وكان نظام الأحزاب المتعددة أيضًا لا يناسبنا لإنه حيكون سبيل أو حيكون وسيلة لتغلغل الأجنبى فى الوقت الحاضر إلى داخل بلادنا؛ ليهدم هذه القاعدة اللى بنِبْنِيها واللى بنعبئ عليها الشعب.

وكان لابد لنا أن ندخل التجربة الجديدة.. تجربة تقينا عيب الحزب الواحد وتقينا فى نفس الوقت عيوب تعدد الأحزاب، تجربة هى عبارة عن نظام يشترك فيه جميع أبناء الوطن بحيث لا نعطى الفرصة للتسلل، وبحيث نحافظ على وحدتنا ولا نمكن الأجنبى من أن يفرق بيننا، ويعمل على وضعنا داخل مناطق النفوذ، وكانت هذه التجربة هى الاتحاد القومى.

الاتحاد القومى مبنى على تحرير الفرد.. تحرير الفرد من الاستغلال الاقتصادى والاستغلال الاجتماعى والاستغلال السياسى، وهو تنظيم قومى وطنى يشترك فيه جميع أبناء الوطن؛ كل فرد من أبناء الشعب بينتخب مُمَثِّليه، كل الشعب يحافظ على وحدته التى تحميه من التسلل الأجنبى.. كل الشعب يحمى المكاسب التى حققها؛ يحمى نفسه من الإقطاع، أو يحمى نفسه من الاحتكار السياسى أو الاحتكار الاقتصادى؛ الاحتكار السياسى اللى هو معناه إن يكون فيه أحزاب وناس تحتكر السياسة بالنسبة لها، أو بيكون فيه حزب واحد وناس تحتكر العمل السياسى.

وطبعاً زى ما قلت: حرية الفرد تحققت الآن بالنسبة للقضاء على الإقطاع، والقضاء على الاحتكار، وعدم إعطاء فرصة لرأس المال ليتحكم ويسيطر؛ بهذه الوسيلة – بالقضاء على الاستغلال الاجتماعى والاستغلال الاقتصادى – بنحقق فعلاً أسس الحياة الديمقراطية السليمة، وبهذا بنقضى على الاستغلال السياسى.

التنظيم السياسى الاجتماعى اللِّى يؤمن كل هذه المكاسب، واللِّى يحمينا من التسلل الأجنبى هو الاتحاد القومى.. الاتحاد القومى فى بدايته قد يكون عملية صعبة، ولكن بعد هذا بيكون هو تعبير عن إرادة الشعب؛ لأن الشعب باستمرار حيشوف مين أصلح الناس، ليدفعهم إلى الأمام فى داخل هذا التنظيم؛ ليتولوا القيادة فى جميع القطاعات، والشعب أيضًا بيحمى مكاسبه عن طريق هذا التنظيم.

النهارده – بعد ٧ سنين من الثورة – بنشوف إن ملامح المجتمع الجديد اللى كانت بتتجه إليه آمالنا، واللى كُنّا بنجد فى الماضى إن مستقبلنا لا يتجه إليه، بدأت تظهر.. بدأ يظهر المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى.. بدأ يظهر المجتمع المتحرر من الاستغلال السياسى والاستغلال الاجتماعى والاستغلال الاقتصادى. علينا واجب النهارده؛ واجب مادى زى بناء المصانع وبناء السد العالى، وعلينا واجب أيضًا وهو الواجب المعنوى، وهو أن نعمل على تنظيم أنفسنا؛ حتى نحقق هذه المكاسب اللى حصلنا عليها، سواء كانت هذه المكاسب مكاسب معنوية أو مكاسب مادية.

طبعاً علشان نصل إلى هذا، كان أمامنا معارك طويلة فى السنين الـ ٧ اللى فاتت، والواحد أما بيبص للخلف بيتهيأله إنها أكثر من ٧ بكتير؛ نظرًا لكثرة المعارك وتعددها فى جميع الميادين وفى جميع الاتجاهات. كان علينا أولاً أن ندخل معركة للتخلص من الاحتلال البريطانى، ثم لنخرج من مناطق النفوذ، اللِّى فرض علينا أن نكون فيها، وكانت هذه المعارك طبعًا معارك مريرة.

كان علينا أيضاً أن ندخل معركة لنحرر اقتصادنا ونقيم اقتصاد وطنى ونقيم اقتصاد قومى.. كان علينا أن نفرض بناء الصناعات فى مشاريع، كنا بنسمع عليها من أيام ما كنا فى المدارس الابتدائية وماكانتش بتتنفذ؛ لأن النفوذ الأجنبى والسلطة الأجنبية لم تكن تريد لنا بأى حال من الأحوال أن نقيم هذه المشاريع فى بلدنا حتى نكون بلدًا زراعية فى حاجة إلى الاعتماد على الدول الأجنبية؛ مشروع كهربة خزان أسوان كنا بنسمع عليه، والحديد والصلب... وهذه المشاريع، ودخلنا فى هذه المشروعات.

وطبعًا نحن مبتدئين فى هذه المشروعات، وطبعًا أى واحد مبتدئ فى هذه الأعمال الكبيرة مش ممكن نقارنه باللى بقى له ١٠٠ سنة و١٥٠ سنة، ولكن النتائج تدعو إلى التفاؤل.. طبعًا يمكن احنا بنحاول باستمرار ننتقد، وبنحاول نقول: إن هنا فيه عيوب وهنا فيه تعقيدات، وأنا باقول هذا الكلام ولكن مش معنى دا إن مافيش نجاح، ولكن احنا عايزين نصل إلى درجة الكمال فى كل فرع من الفروع وفى كل ناحية من النواحى اللى بنسير فيها فى بناء بلدنا. النتائج اللى شفناها لغاية النهارده فى جميع الميادين نتائج تدعو للتفاؤل، قد يشعر الإنسان إن يمكن مش هو دا اللى كان عايز يوصل له.. كان عاوز يوصل إلى أكثر من كده.

بالنسبة لظروفنا وبالنسبة لأحوالنا، بالنسبة لمعاركنا بنعتبر إن اللى حُقِّقَ فى أحلك سنين – اللى هى سنين الضغط الاقتصادى وسنين الحرب.. سنين العدوان – يمكن بيدينا أمل إن فى السنين اللى جاية حنحقق فى نفس الوقت أضعاف أضعاف ما حققناه فى هذه السنين.. طبعًا كانت هناك معارك مريرة؛ لأن ظهور دولة قوية أو ظهور دولة متمردة على الاحتلال، ثم متمردة على أن تكون داخل مناطق النفوذ، ثم متمردة على أن تكون داخل النفوذ الاقتصادى أو على أن تكون محتاجة اقتصاديًّا ودولة زراعية، كان بيؤثر على الدول الاستعمارية اللى كانت بتعتبرنا فى داخل مناطق نفوذها، وكانت بتعمل على أن تفشل كل هذه المشاريع، وكل هذه الآمال.

دخلنا معارك من أجل تنمية بلدنا، ومن أجل تحقيق الرفاهية، ومن أجل تحقيق التطور.. يعنى بنبص للسد العالى.. بنبص لمعركة العدوان؛ المعركة على بورسعيد سنة ٥٦، سببها إيه؟ إن احنا عايزين نبنى السد العالى، بنطلب معونة لبناء السد العالى. بنقاوم وبنقابل معارضة، وبعدين بيحصل رفض هذه المعونة أو رفض هذا القرض من البنك الدولى بطريقه فيها شىء من التحقير. ما بنقبلش دا، بنشوف فلوسنا فى قنال السويس بياخدوها هم وبيستخدموها؛ الـ ٤٦ مليون جنيه دخل سنوى للقنال بناخد منه مليون جنيه واحنا دايرين نستلف علشان...

وبعدين بنقابل بالرفض ثم نقابل بالتحقير.. بنؤمم قنال السويس، بيثوروا هم لأنهم بيعتبروا دا ضربة لهيبتهم فى هذه المنطقة، بينشأ العدوان على بلدنا.

نبص نلاقى العملية لا يمكن أن نفصل الناحية الداخلية من الناحية الخارجية أساسًا.. كل العملية احنا عايزين ٢ مليون فدان، وصلت إلى حرب لأن فيه مقاومة، وفيه محاولة على أن لا نحرر أفكارنا إلى هذا التحرر الكامل، وبنبقى زى ما احنا شعب متأخر، خاضع، سوق للبضاعة الأجنبية، ما نصنعش بلدنا، نعتمد على الدول اللى عايزانا نكون فى داخل مناطق نفوذها بالنسبة لكل شىء.

طبعًا هذه المعارك لإنهاء السيطرة الخارجية علينا.. بالنسبة للاستعماريين اللى كانوا بيشوفونا فى داخل مناطق النفوذ، وبِنْفَلْفَص علشان نطلع من هذه المناطق، كانوا بيلاحظوا إن هذا لن يكون له أثر بس علينا، ولكن سيكون له أثر فى جميع المحيط من حولنا؛ فى جميع البلاد فى آسيا وإفريقيا لأن نجاح دولة صغيرة فى إنها تقف وتصمد فى وجه النفوذ الأجنبى، وتصمم على أن تتحرر ثم تتحرر، ثم تصمم على أن تبنى الاستقلال الوطنى وتبنى الاستقلال الوطنى وتبنى الاقتصاد الوطنى، دا مش ممكن حيكون له تأثير داخل حدود بلدنا، ولكن لابد أن ينطلق تأثيره فى جميع أرجاء العالم، وقد تنتقل العدوى لتقضى على مناطق النفوذ.

طبعًا كانت السيطرة المعتدية الخارجية تحارب كل هذه المشاريع، وكل هذه الوسائل اللى احنا بنحاول بواسطتها أن نطور مجتمعنا؛ بتحارب هذه المعركة المريرة وهى بتحارب عن مناطق نفوذها فى بلدنا، وبتحارب عن مناطق النفوذ فى البلدان الأخرى. وطبعًا المعارك من سنة ٥٢ لغاية دلوقت كلها معارك معروفة، وطبعاً انتصرنا فى هذه المعارك.. انتصرنا ضد الضغط السياسى والضغط الاقتصادى، وضد المعارك النفسية، وضد معارك الدعاية ومحطات الإذاعة السرية، ليه؟ لأن الشعب آمن بأنه لابد أن يبنى هذا المجتمع، وآمن أن عليه أن يحمى هذا المجتمع.

الصهيونية العالمية كانت ترى فى هذه الحركة خطرًا يهدد أطماعها وخطراً يهدد آمالها؛ قيام دولة صناعية، قيام دولة متحررة غير خاضعة للنفوذ، ما بتاخدش تعليمات من أى دولة أخرى، بيهدد نفوذ الصهيونية وبيهدد أمل الصهيونية. وبهذا جابهنا أيضًا معارك، تآمرت فيها الصهيونية مع الاستعمار مع أعوان الاستعمار.. واستمرت هذه المعارك، ولكنا استطعنا بفضل وحدة هذا الشعب، وبفضل يقظة هذا الشعب أن نحطم جميع الوسائل والأساليب اللى اتبعت ضدنا.

هل أثَّر هذا فينا؟ هل أثرت هذه المعارك فينا وخلتنا نتخاذل أو نقبل إن احنا نفرط فى مبادئنا؟ بالعكس، هذا لم يؤثر فينا، احنا دولة صغيرة، مَا احنَاش دولة.. لا عندنا قنبلة ذرية ولا عندنا صواريخ موجهة.. احنا دولة عندنا مبادئنا. هذه المبادئ هى رأسمالنا الأساسى، محافظتنا على هذه المبادئ والمحافظة على هذه المبادئ هو سبيل انتصارنا فى كل هذه المعارك، لا يمكن أبدًا إن احنا نساوم، وأى دولة تساوم على حريتها بيبقى هذه المساومة هى وثيقة العبودية اللى بتمضيها هذه الدولة. لم نساوم على حريتنا ولم نساوم على مبادئنا، ولن نساوم على حريتنا ولن نساوم على مبادئنا.

دى المعارك كلنا عارفينها.. المعارك اللى بدأها الاستعمار، ثم بدأها أعوان الاستعمار، وبدأتها واشتركت فيها الرجعية ضدنا لغاية العدوان الثلاثى. وحينما وجد الاستعمار إنه لا يستطيع أن يواجهنا وجهاً لوجه بعد أن استنفد كل وسائله؛ طبعاً ابتدى يشغل عملاءه، طبعاً عملاؤه مكشوفين فى جميع أنحاء الأمة العربية، ولم يستطع عملاء الاستعمار، اللى كانوا بياخدوا الفلوس واللى كانوا بياخدوا المساعدات.. إنهم يشككوا العالم العربى فى فكرة القومية العربية.

ولم تستطع الرجعية العربية، اللِّى كانت تشعر إن قيام هذا المجتمع فى هذه المنطقة من العالم العربى قد يهدد مصالحها، لم تستطع الرجعية العربية بكل وسائلها إنها تؤثر على الرأى العام العربى فى جميع أنحاء العالم العربى، اللِّى آمن بوحدة العرب من أجل الحفاظ على كيانهم، ومن أجل الحفاظ على

مصيرهم، واللى آمن ألا بد من أن يقوم التضامن العربى ضد الأخطار اللى هددته على مر السنين، وحتى لا تتكرر مأساة فلسطين مرة أخرى، ويُقضى على القومية العربية فى بقعة عزيزة من الوطن العربى، زى ما حصل فى ٤٨.

محاولات الاستعمار وأعوان الاستعمار لم تنفع بكل وسيلة من الوسائل، الـ ١٠ محطات السرية، بالإضافة إلى محطة إسرائيل، وبالإضافة إلى محطة لندن وباريس؛ كل دا ما عملش أى نتيجة ليؤثر فى روح هذا الشعب وفى قوة هذا الشعب.. تحركت المعركة من حولنا وابتدت حتى تروح الأمم المتحدة؛ علشان معركة التشهير؛ وعلشان يبثوا نوع من الفتور فى فكرة تضامن العالم العربى ووحدة العالم العربى.

طبعًا الصهيونية والاستعمار بيعتبروا إن تضامن العالم العربى ووحدة العالم العربى معناها قيام سد عالى ضد مناطق نفوذ الاستعمار وضد الصهيونية؛ وعلى هذا الأساس كانت معركة الاستعمار وأعوان الاستعمار.. أيام العدوان الثلاثى على مصر كان فيه قلوب بتتقطع أسى وحزناً، وكان فيه ناس بتعرض نفسها للرصاص وللموت فى بلادها، وهى تعتبر أن هذا هو تأييد معنوى لمصر فى كفاحها وفى قتالها ضد العدوان، وفى نفس الوقت كان هناك أعوان للاستعمار طبعاً مستنيين إن الاستعمار ينتصر؛ علشان يقبضوا، وعلشان يكون لهم نفوذ ويمثلوا الاستغلال الداخلى.

وطبعاً كل هذه المجموعات من أعوان الاستعمار فى جميع أنحاء العالم العربى معروفة وواضحة وملموسة لكل الشعب العربى، حاولت طبعًا.. بتحاول إنها تزيف شعاراتها، ولكن لن يمكن للشعب العربى أن يُخدع. طبعًا الإذاعات السرية قالت إيه مع إذاعة اسرائيل؟ التوسع العربى! حَوّلوا القومية العربية إلى إمبراطورية جمال عبد الناصر! حولوا الوحدة العربية والتضامن العربى إلى التوسع! دى الإذاعات الاستعمارية والإذاعات السرية وإسرائيل اللى كانت بتنادى بذلك، وكانت بتعتبر إنها بهذا بتقضى على فكرة القومية العربية وفكرة الوحدة العربية وفكرة التضامن العربى؛ اللى هى بتمثل تهديدًا للنفوذ الأجنبى فى

هذه المنطقة، واللّى بتمثل القضاء على النفوذ الأجنبى فى هذه المنطقة؛ لأن أول لازمة من لوازم القومية العربية هى الاستقلال الكامل عن أى نفوذ أجنبى.

ثم كانت الوحدة بين مصر وسوريا وقامت الجمهورية العربية المتحدة، ودى – الجمهورية العربية المتحدة – هى أيضًا محصلة هذا الكفاح كله.. نتيجة هذا الكفاح.. الكفاح ضد الاستعمار، وَقَرَّر الشعب العربى فى مصر والشعب العربى فى سوريا أن يقرر مصيره بنفسه. فى سنة ١٧ و١٨ قرروا همّ مصيرنا، وقسموا الحدود، وعملوا دول عربية وإمارات، وكانت هذه أوضاعًا ورثناها، ولكن قيام الجمهورية العربية المتحدة كان له معنى كبير؛ كان له معنى أن العرب أصبحوا قادرينَ على إنهم يحققوا مصيرهم بأنفسهم، وكان له معنى إن العرب أصبحوا فى وضع يمكنهم أن يتجاهلوا كل إرادة غير إرادتهم.

وطبعًا كان قيام الجمهورية العربية المتحدة له صدى كبير فى جميع أنحاء العالم العربى.. هذا الصدى طبعاً بيؤثر على الناس اللّى عايزين يحطونا فى داخل مناطق النفوذ، بيؤثر أيضًا على العناصر اللى تريد أن تباشر الاستغلال السياسى فى داخل هذا الوطن العربى.. لتحمى مصالحها، أو لتكون عميلة لدولة أجنبية.

وطبعًا حاول الاستعمار – بكل وسيلة من الوسائل – أن يقيم تنظيمات أو تشكيلات أو مسميات؛ ليجابه الجمهورية العربية المتحدة ويقسم العالم العربى؛ حتى يستطيع أن يسيطر من خلال هذا الانقسام، ويستطيع إنه يحط العالم العربى مرة أخرى داخل مناطق النفوذ.

كنا احنا بنبص نلاقى نفسنا داخلين فى هذه المعارك، نُجَرُّ إلى هذه المعارك جرًّا، وكانت بالنسبة لنا كل معركة من هذه المعارك هى معركة دفاعية؛ بندافع فيها عن كياننا وندافع فيها عن وجودنا، ثم ندافع فيها عن مبادئنا وأفكارنا، وعن مبادئ القومية العربية اللى كان بيؤمن بها كل فرد فى جميع أنحاء العالم

العربى، واللى احنا نؤمن إنها السبيل الوحيد؛ لحماية العالم العربى من الوقوع فى داخل مناطق النفوذ الأجنبى أو السيطرة الأجنبية.

بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة، وبعد تبلور الجمهورية العربية المتحدة، وبعد ما ظهر صدى قيام الجمهورية العربية المتحدة.. أصبح الوضع بيهدد كل واحد طامع فى هذه المنطقة العربية، وكل مبدأ دخيل فى هذه البلاد العربية؛ لأن صدى قيام الجمهورية العربية المتحدة كان صدى كبير فى قلب كل عربى، وكان معنى كبير فى قلب كل عربى؛ لأن كان معنى هذا إن تيار التاريخ بيسير فعلاً فى مجراه.. تيار التاريخ بيسير فى الأمام، وإن الدول الكبرى اللى حاولت أن توقف هذا التيار، لم تستطع أن تتغلب على التيار الطبيعى للتاريخ بالنسبة لشعب آمن بحقه فى الحياة، وآمن بحقه فى أن يطور نفسه، وبالنسبة لشعب آمن أن القومية العربية والتضامن العربى هى سبيل الأمان، وهى السبيل الوحيد لحمايته، والسبيل الوحيد لرفع مستواه، والسبيل الوحيد لتطويره اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا.

وكان قيام الجمهورية العربية المتحدة هو ذروة الانتصارات بالنسبة للقومية العربية، وبالنسبة للعرب ضد محاولات الاستعمار جميعها. وكان الاستعمار فى حالة يأس، بيحاول يائس أن يجد وسيلة، ومعه الصهيونية؛ لأنهم كانوا يشعرون إن القومية العربية هى تهديد لنفوذهم.

ثم قامت ثورة العراق فى ١٤ يوليو سنة ٥٨، ونظرنا إلى هذه الثورة على أنها كسب كبير للقومية العربية، ورأينا فيها الأمل الكبير؛ لأن شعب العراق أما كنا بنحارب فى بورسعيد فى وقت نورى السعيد، خرج ضد أوامر نورى السعيد وقابل الرصاص؛ علشان يعلن عن رأيه ويعلن عن شعوره، ولم يرهب الرصاص، وأعلن تضامنه مع مصر ضد العدوان الثلاثى، وأعلن إيمانه بالقومية العربية.

وكانت ثورة ١٤ يوليو هى تعبير عن أمانى وآمال هذا الشعب؛ ولهذا من أول يوم لثورة العراق أعلنّا أننا نساند هذه الثورة.. أعلنا إن احنا بنساند هذه الثورة؛ لأن كان من الواضح لنا أن هذه الثورة ثورة قائمة على مبادئ الاستقلال.. ثورة قائمة على أساس ألا تخضع لمناطق النفوذ.. ثورة قامت تعمل للشعب العراقى وللشعب العربى.. ثورة قائمة فى بلد مجاور لنا، لابد أن نتضامن معها. وكان أى خطر بيهدد العراق بيهددنا جميعاً؛ ولهذا أعلنا من أول يوم أننا نتضامن مع شعب العراق ومع ثورة العراق، وأن أى عدوان على العراق عدوان على أراضينا.. أعلنا هذا وكانت القوات البريطانية تتجمع فى الأردن، والقوات الأمريكية تتجمع فى لبنان، وكان طبعًا هذا التجمع لمجابهة الموقف اللّى نتج عن الثورة. وسرنا بعد هذا وكلنا أمل، ولكن كان أيضًا أعداء القومية العربية؛ الاستعمار وأعوان الاستعمار والعملاء كلهم أمل، كلٌ يريد أن يحقق مبادئه.

الشيوعيون بعد الوحدة اللى حصلت مع سوريا، وقفوا يهاجموا الوحدة، ويهاجموا القومية العربية ويهاجموا أوضاعنا، وجدوا أيضًا فى هذه الثورة أمل، وبدأت معركة أخرى بين أرجاء العالم العربى. وبدأت هذه المعركة تظهر من الشهور الأولى لثورة العراق، اتكلموا عن الوحدة؛ ناس بيقولوا وحدة وناس بيقولوا اتحاد.. احنا كنا بنقول لهم بوضوح: إن كل ما يهمنا أن يتحد شعب العراق؛ حتى يستطيع أن يجابه أى عدوان، وحتى يستطيع أن يجابه كل المحاولات، اللّى قد تعمل للانتقاص من استقلاله.

ولكن بدأت – برضهُ رغم هذا – محاولات، الغرض منها إيجاد خصومة بين العراق وبين الجمهورية العربية، وبدأ دا من شهر سبتمبر سنه ٥٨، واحنا فضلنا صابرين من سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر لغاية ديسمبر ويناير.

بدأنا نتكلم فى يناير سنة ٥٩، ونرد على الحملات اللى كانت توجه إلى الجمهورية العربية المتحدة بواسطة صحافة العراق وبواسطة إذاعة العراق. بدأنا نرد عليها فى يناير، طبعًا هذه الحملات لم تكن تعبر بأى حال عن التضامن

العربى أو حتى عن الجوار، ولكن كان واضح إن الشيوعيين فى العراق، وأعوان الاستعمار فى العراق، والاستعمار فى العراق بيجدوا ألا بد لهم أن يخلقوا سبب؛ لقيام فتنة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق؛ وبهذا يستطيع الاستعمار أن يجد فى العراق اللى قام بثورة ١٤ يوليو، نفس اللى كان وجده قبل ١٤ يوليو فى تمثيل الدور اللى بيقف فى وجه القومية العربية، ثم يقف فى وجه الجمهورية العربية المتحدة.

وسارت الأمور على هذا المنوال، وطبعًا كان أمل اللى عايزين يضعونا مرة أخرى داخل مناطق النفوذ بيزداد، والأمل طبعًا كان بيتجه إلى سوريا، على أساس إن سوريا بتعتبر مفتاح الموقف فى هذا المشرق العربى. ثم بدأت مؤامرات الاستعمار ودعايات الاستعمار وإسرائيل والصهيونية بكل الوسائل، ثم الدعايات الشيوعية أيضًا بكل الوسائل.. الشيوعيين العرب اللى بيوجهوا هذه الدعايات بيستهدفوا الإقليم السورى. طبعًا الإقليم السورى، أنا أعلم إن الشعب على وعى كبير وعارف هذه الأساليب، وأنا رحت هناك فى سوريا وكنت ما باتكلمش حتى على المكشوف.. كنت بألاقيهم حاطين يُفَط وكاتبين فيها كل حاجة بوضوح. وفى الوقت اللى أنا مَاكُنْتِش عايز اتكلم بوضوح، وكنت عايز اتكلم كلام إجمالى، بقيت ألاقى اليُفط اللى هم معلقينها بتقول على الشيوعيين صفتهم وَنَعَتْهم، وبتقول على أعوان الاستعمار، والناس فاهمة كل حاجة، قبل الواحد ما يروح يتكلم.

طبعاً هذه المحاولات وجدت هَوَى فى بعض النفوس فى العراق، واحنا كنا فى نوع من الشك، إيه اللى ممكن يحصل؟ وهل ستسير الثورة فى طريقها، أو ستثور الثورة على نفسها؟ أو هل حتنحرف هذه الثورة؟ وعبد الكريم قاسم إيه الخط اللى بيمشى فيه؟

بعتنا له قُلْنا لهُ: بنقابلك، قال: لا! بعد كده من أسبوع بيقول: أنا مَا رْضِتْش أروح لأحسن دا كانوا عايزين يقتلونى زى ما اتقتل أحمد المالكى – الضابط المالكى – كلام ما تعرف أوله إيه ولا آخره إيه!! ولكن بيدى مقابلات للصحفيين

ويقول: احنا متجنبين علينا، واحنا مش فاهم بيهاجمونا، واحنا ما بنردش عليهم، واحنا بنقابل الإساءة بالحسنة، وكلام كله مِسْكَنة وكله مش فاهم إيه!

وبعدين نفتح الإذاعة، وتفتح محكمة المهدواى وتلاقى سَبْ على أعلى درجة، وشتيمة على أعلى درجة، بقينا نقول: يمكن الراجل مش دارى إيه اللى حاصل عنده؛ مش دارى إيه اللى بيكتب فى الجرايد، مش دارى إيه اللى بيتقال فى الراديو، يمكن له عذر!

وبقينا نصبر ما نتكلمش، وبعدين يقابل كل واحد؛ يقابل الإنجليز.. واللا يقابل صحفى إنجليزى، ويقول له: احنا أما بنتكلم عن الاستعمار ما بنقصدكوش.. احنا بنقصد مصر وبنقصد جمال عبد الناصر؛ هو دا الاستعمار الجديد، اللّى موجود النهارده فى الشرق الأوسط وفى البلاد العربية!

نسمع هذا الكلام.. حاجه تِمَخْوِلْ، الواحد ما هو عارف العملية ماشية إزاى ولا آخرها إيه! وقطعاً كان الواحد بيحط كل فرض من الفروض، ما عدا طبعًا إن فيه انحراف شنيع، أو فيه حقد شخصى أو كراهية شخصية بتخلّى الواحد يطلع أو بتخليه يخرج عن أهدافه.

بيدخل فى محكمة الثورة شتيمة من أقذر أنواع الشتائم طبعًا؛ شتيمة بالأب والأم!! ويابن اللى مش فاهم إيه، وكلام من دا إلى أخر هذا الكلام، وفى نفس الوقت عبد الكريم قاسم قاعد مع صحفى بيديلهُ حديث ويقوله: احنا متجنّى علينا.. بيشتمونا ما بنردش عليهم، وبيهاجمونا ما بنردش على هذا الهجوم!

بنقول: مسكين عبد الكريم قاسم، مش عارف ابن خالته بيعمل إيه فى محكمة الشعب! تطلع الجرايد بتشتم، وهو يقعد يقابل صحفى ويقول: والله دول هم بيشتمونا وبيهاجمونا وبيتأمروا علينا.. إلى أخر هذا الكلام لغاية طبعًا ما جِه يوم عبد الكريم قاسم وأعلن صراحة إنه هو يؤيد كل كلمة قالها المهداوى وبيقولها المهدواى. أما أعلن هذا الكلام صراحة، يعنى فعلاً وضّح نفسه شوية، وأصبح من الواضح إن عبد الكريم قاسم النهارده بيقوم فى العراق بالدور اللى

قام به نورى السعيد، واللى قام به كل أعداء القومية العربية. وهل هو بيخدم التضامن العربى؟ هل هو بيخدم الوحدة العربية؟ هل هو بيخدم شعب العراق؟

ما بيهاجمش حد أبدًا غير الجمهورية العربية المتحدة من دون دول العالم كلها، ما فيش غير الجمهورية العربية المتحدة هى الوحيدة، ليه؟ لأن هى طبعًا أما نبُص لعبد الكريم قاسم فى أوضاعه، وفى الحال السياسى اللى وصل فيه العراق.. بيحاول باستمرار إنه يركز على ناحية من النواحى؛ متهيألّه إن لو تحسنت العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وبين العراق، معنى هذا إن القومية العربية بتجد سبيلها، وتحصل وحدة، وإذا كانت حتحصل وحدة حيبقى جمال عبد الناصر، وعبد الكريم قاسم ما يخُدش دورهُ!

قطعًا هذه تخيلات وهذه تهيؤات، واحنا من أول يوم قلنا له: إن احنا لايمكن بأى حال من الأحوال إن احنا بنفرض إرادتنا على أى شعب عربى؛ لأن فرض الإرادة معناه الضعف، واحنا بنريد من التضامن أو الوحدة القوة، ولكن الوحدة المفروضة أو الوحدة اللى لا تمثل فعلاً القوة، بتكون نكسة كبيرة للعالم العربى.

بيتكلم قاسم فى الأيام الأخيرة وبيقوم بحملة ضد الجمهورية العربية المتحدة، قال: إن احنا تآمرنا عليه، قالوا: إن احنا بعثنا سلاح للجيش أمَّا ثار فى الموصل. الجيش أما بيثور بيثور لأن عنده سلاح، مافيش جيش بيثور وبيعوز ١٠، ١٢ مدفع علشان يساعدوه. وقال يعنى قصص كثيرة جدًّا.. ما هو الغرض من هذا؟

كان الغرض هو إيجاد جفوة بين الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة والشعب فى العراق، وكان غرضه هو إيجاد بُعد، وإن بهذا بيعتبر إنه بيؤمن نفسه أو بيؤمن وضعه. بقينا نقول: هو إيه وضعه؟ وهو إيه يعنى مبدؤه؟ ماشى فى أى شكل؟ ماشى فى أى سكة؟ بقينا نحاول بكل وسيلة من الوسائل إن احنا نتقابل سرًّا وعلنًا، ولكن باين فيه خطط طبعًا مرتبة، الغرض منها التباعد.

الشعب العربى كشف كل هذه الأساليب.. والشعب العربى كشف كل هذه الوسائل.. والشعب العربى شعب نبيه؛ لأنه طبعاً له تجربة كبيرة مع نورى السعيد وأمثال نورى السعيد، وناس عَناتِيل أكثر من عبد الكريم قاسم بكتير من اللى اشتغلوا فى هذه السكك. قطعًا.. عبد الكريم قاسم بقى له سنة و٣ أشهر؛ لسه جديد، لسه بينكشف كل يوم.. كل يوم بيظهر.. يعنى نورى السعيد كان له أوقات كبيرة.

نِبُص فى هذا الأسبوع وفى هذه الأيام.. بنجد فيه حملة بيقوم بها عبد الكريم قاسم على الجمهورية العربية المتحدة.. كل يوم بيدى أحاديث وَهاتْ.. شتيمة فى الجمهورية العربية المتحدة، كلام عن نفسه.. بيتكلم عن نفسه وأمجاده. الكلام دا بنرحب به – كلام يعنى كويس – ولكن بنبص لأساليب عبد الكريم قاسم فى أحاديثه، بنجد فيه أساليب جديدة، وفيه أساليب قديمة. الأساليب القديمة طبعاً اللى اتبعتها إسرائيل.. نفتح راديو إسرائيل بنعرف الأساليب القديمة، بنجيب إذاعات إسرائيل طوال السنين اللى فاتت الأساليب القديمة؛ اللى هى: جمال عبد الناصر عايز يتوسع.. جمال عبد الناصر عايز يعمل إمبراطورية، مصر بتحكم سوريا.. الاستعمار المصرى فى سوريا.. كلام الإذاعات السرية، وكلام الغرض منه الوقيعة والدس، والكلام، اللى فشلت كل قوى الاستعمار ومحطاته السرية – صوت مصر الحرة، وصوت الحق، وصوت إسرائيل، إلى آخر هذه المحطات – فشلت فى إنها تقنع واحد من شعب الجمهورية بجدية هذا الكلام.

دى الأساليب القديمة عارفينها.. بيتبعها عبد الكريم قاسم النهارده، مش ممكن الناس أبدًا تصدق هذا الكلام النهارده بس لسبب واحد؛ لأن اللى بيقوله عبد الكريم قاسم مش "بن جوريون"، ولا نورى السعيد، لأن الكلام دا قبل كده قاله "بن جوريون" وقاله نورى السعيد.

أما الأساليب الجديدة، بتمثل طبيعة يمكن عبد الكريم قاسم.. عبد الكريم قاسم فى أحاديثه بيحاول يدِّى لنفسه صفة وبيحاول.. احنا مستعدين كل ما يدى لنفسه

صفة نصفق له ونهتف بالزعيم الأوحد، ونوافق على هذه الصفات، ولكن بيعمل إيه هو؟

بيدى لنفسه صفة، ولكن بطبيعته بيعتقد إن هذه الصفة لا يمكن أن تكون حقيقية إلا إذا هَدَمها بالنسبة للآخرين.. بيشعر إن مجده لا يستقيم إلا على جثث الآخرين، ولو حتى جثة التاريخ. عبد الكريم قاسم بيقف وبيتكلم عن دوره سنة ٤٨ فى حرب فلسطين فى كفر قاسم.. كويس! يعنى حاجه كويسة.. بننسى ماكو أوامر.. بننسى إن مافيش حرب.. ماكو أوامر. طبعًا الشعب ثار؛ لأن ماكو أوامر يعنى مافيش أوامر، ماكانش فيه حرب! دا سبب ثورة الجيش العراقى على الحكم البائد هناك.. بننسى إن كان فيه أوامر إن ماحدش يشترك، بيطلع عبد الكريم قاسم فى حديث بيقول إيه؟ هو عايز يمجد نفسه، بيحكى على حكاية كفر قاسم اللى هو كان قاعد فيه، بيقول: إنه قاعد فى كفر قاسم، ولم يجرؤ اليهود على إنهم يتصدوا له أبدًا.. طبعاً اللى كانوا فى فلسطين كانوا رايحين علشان يهاجموا وعلشان يحتلوا الأرض العربية، مش بيستنى واحد قدامه لا يجرؤ! وبعدين بيرجع تانى يقول إيه؟ إنه خرج بمفرده للخطوط الأمامية، يتحدى العدو ويسير أمام خطوطه الأمامية. كويس نصفق!! أنا ما باناقش أبدًا هو عمل إيه فى الخطوط الأمامية، وقصص أبو زيد الهلالى كلها موافقين عليها وراضين بها، كل هذا الكلام موافقينه وتمجيد لعبد الكريم قاسم ومستعدين.. أيضاً ماكو أوامر كانت موجودة، ومستعدين ننسى هذا الكلام.

لكن نيجى نِبُصْ لشخصيته.. عبد الكريم قاسم مش مقتنع هو بهذا الكلام، لا يستقيم هذا التفاخر وبناء المجد له إلا بالهدم؛ تقوم تبص تلاقيه يقول أما بتوع الفالوجا دول ماحاربوش، وأما – مش فاهم إيه – حاولنا نبعث لهم.. وحاولنا نبعث لهم واحد وقلنا لهم بتنسحبوا! ونبص نلاقيه هو عايز يعمل مجد لنفسه، وهو كان قاعد فى كفر قاسم.. قاعد ساكت يعنى وشايف إن دا مش كفاية، لازم يقارن نفسه بالفالوجا.

طبعًا أنا كنت موجود فى الفالوجا، وعارفين إيه اللى حصل فى الفالوجا؛ الفالوجا قعدت ٥ أشهر فى الحصار، ولم تقبل التسليم. وأنا مثلاً كنت فى منطقة كان فيها كتيبة – فى منطقة عراق المنشية – وهاجمنا اليهود مرتين: مرة يوم ١٦ أكتوبر سنة ٤٨ ، ومرة يوم ٢٨ ديسمبر. المرة الأولى خدوا جزء من موقعنا.. كتيبة – كنا ٨٠٠ عسكرى – وهجموا بالدبابات، وَلا كَانْشِ عندنا دبابات، ثم عملنا هجوم مضاد واستطعنا إن احنا نسترد موقعنا، واستمرينا بعد كده أكتوبر ونوفمبر وديسمبر. فى ديسمبر كنا منعزلين عن المواقع الأساسية للجيش المصرى بحوالى ٨٠ أو ٩٠ كيلو، وكنا بنحارب عن شرفنا .. عن شرف الجيش.. كنا بنرفض التسليم. وهاجمونا فى ٢٨ ديسمبر واستولوا على تلتين الموقع، مات من عندنا ١٥٠ فى هذه المعركة، ولكن لم نسلّم واستطعنا برضه أن نقوم بهجوم مضاد، واستطعنا أن نكبدهم خسائر – عدد كبير من القتلى – واستطعنا إن احنا نحافظ على هذا الموقع المنعزل حتى قامت الهدنة. فى هذا الوقت اللِّى كان عبد الكريم قاسم بيتمشى قدام اليهود، عند كفر قاسم!

وبعدين كونه هو وقف هناك، دا كلام احنا نرحب به.. كونه بيقول: إنه حارب كلام نرحب به، ولكن الغريبة فى الموضوع أنه لا تستقيم له الأمور، وهو يتفاخر ولا يحاول يبين أمجاده إلا بمحاولة هدم أى صفحة نظيفة وأى صفحة نستطيع أن نفتخر بها.

طبعًا بتبص تلاقى قاسم قاعد فى المستشفى، على بعد ألف ميل من حدود إسرائيل، تبص تلاقيه يدى حديث للصحفيين.. لصحيفة من الصحف ويقول: الجمهورية العربية المتحدة تعدادها ٣٠ مليون، وإزاى ما يتبعوش المباغتة اللى أنا باتبعها ويخلصوا إسرائيل فى ٢٤ ساعة؟! طبعًا كلام باين إنه كلام بسيط قوى، واحد قاعد على بعد ألف ميل من الحدود فى مستشفى ومجبر دراعه.. أهو بيتكلم!!

طبعاً الأمور لا يمكن إنها تكون – تبقى طبعًا – بسيطة بهذا الشكل، وفين هى المباغتة اللِّى احنا شفناها من عبد الكريم قاسم؟! طبعًا شُفناه باغت الشعب

العراقى وقتل منه ييجى ١٠ آلاف؛ سَحَلوهم فى الشوارع ودفنوهم أحياء! شُفْناه باغت اللى قاموا معاه فى الثورة فى الشوارع وشنقهم كلهم! شفناه باغت كل حاجة ضد مصلحته. هذه المباغتة.. هل المباغتة هى الغدر؟ باغتنا احنا بعدما ساندناه فى ١٤ يوليو.. وقفنا معاه، بَصِّينا لقيناه باغتنا وانقلب علينا، وبقى الحرب الأولى والحرب العُوان ضد القومية العربية وضد الجمهورية العربية المتحدة! باغتنا أيضاً بعد كده أمَّا اليهود حشدوا قواتهم على حدود الإقليم السورى وبدأوا يتحرشوا بنا، وطلبنا منه إنه يبعث قوات إلى سوريا، وبعدين مَارَدِّش علينا، باغتنا بإنهُ ماردش لغاية دلوقت!! دى المباغتة اللى احنا شايفينها من عبد الكريم قاسم!! باغت الشعب العراقى بأنه خلى مافيش حد آمن على يومه، ولا أولاده، ولا على مراته، ولا على عيلته، ولا على فلوسه، هل هى دى المباغتة اللى هو بيتكلم عليها عبد الكريم قاسم؟!

إزاى عبد الكريم قاسم عايز يقعد على بعد ألف ميل من حدود إسرائيل ويقول: لأ روحوا انتم باغتوا إسرائيل وخُدوها فى ٢٤ ساعة، متجاهل كل العوامل الموجودة!! ويوم ما إسرائيل تحشد قوات علينا يباغتنا وما يردِّش علينا! نفضل نقول له ابعت لنا قوات.. مافيش، نفذ ميثاق الدفاع الموجود.. مافيش.

برضه الأساليب الحديثة أو الأساليب الجديدة.. احنا قلنا الأساليب القديمة والأساليب الجديدة من عبد الكريم قاسم.. طبعاً ما بيستقيملوش أبداً إنه يبين أمجاده ويتكلم على نفسه إلا إذا هدم كل ما يستطيع أن يفتخر به كل عربى؛ بيقف عبد الكريم قاسم بيدى حديث صحفى، بيهاجم معركة بورسعيد ويقول: دا الجيش المصرى هرب من بورسعيد، وشعب بورسعيد دافع عن بورسعيد.. الجيش المصرى مش فاهم عمل إيه فى سينا؛ لَمْ كل اللى أذاعته إسرائيل وظهر كذبه بعد كده فى الكتب وفى البيانات الرسمية اللى أُعلنت فى فرنسا حتى والدول المعتدية.. لم كل هذه الأكاذيب وبيديها هو فى حديث رسمى! هل هو بيضحك على الناس ولا بيضحك على نفسهُ؟! قطعًا الناس كلها بتبُص لبورسعيد على أنها مفخرة للعالم العربى – معركة بورسعيد – بتبص لكفاح الجيش المصرى فى

هذا الوقت ضد العدوان الثلاثى – دولتين كبار وإسرائيل – كمفخرة لنا إن احنا بنقف ضد هذه الأساطيل ثم بنحافظ على قوتنا. هاجم معركة سينا.. ردد كل ما قاله اليهود؛ بيقول: إن فيه ٥ آلاف إتْأسروا فى غزة، وبيهاجم الجيش.. وإزاى الكلام دا؟ طبعاً احنا أما قررنا الانسحاب كان فيه حرس وطنى فى غزة، وقلت لهم ما يقاتلوش؛ لأن كنا بنجابه إنجلترا وكنا بنجابه فرنسا، وكانت طيارات إنجلترا بتيجى تضربنا من مطار الحبانية، وكان عبد الكريم قاسم قاعد يخطط، ما حاولش أبداً يباغتنا فى هذا الوقت؛ علشان يمنع هذه الطيارات من إنها تيجى تضرب بلد عربى!

ولكن الحقد والضغينة والنفوس الضعيفة بتخلِّى الشخص يردد كلام أعدائه من حيث لا يشعر، وهل عبد الكريم قاسم بيعتبر إن الناس اللى سمعوا هذا الكلام – اللى بتقوله إسرائيل وبتقوله بريطانيا وفرنسا وبتقوله المحطات السرية النهارده – حيصدقوا هذا الكلام لأن عبد الكريم قاسم هو اللى قاله؟ وعبد الكريم قاسم يعنى إذا ردد كلام "بن جوريون" يبقى إيه الفرق؟ إذا ردد كلام الاستعمار بيبقى إيه الفرق؟ لا استنتاج إلا إنه بيعمل لتحقيق أهداف الصهيونية.. وبيعمل لتحقيق أهداف الاستعمار فى هذه المنطقة من العالم العربى. كرر فى معركة بورسعيد كل اللى قالته إسرائيل، وكل اللى قالوه ضدنا فى الجرايد الاستعمارية والدعاية الاستعمارية، ونسى إن جيش الجمهورية العربية المتحدة هو اللى هب فى يوم ١٤ يوليو سنة ٥٨ أمًا قامت الثورة علشان يساند ثورة العراق وشعب العراق، وعلشان يؤمنها خارجيًا فى وجه بريطانيا وأمريكا، وكنا فى هذا بنقامر بمصيرنا، وبنعرض بلدنا للخطر.

طبعًا دى الأساليب الجديدة اللى احنا بنكتشفها.. أساليب بتمثل أمراض نفسية عصبية، مُركبات نقص، عبد الكريم قاسم بيقول: "أنا وأنا".. أنا قرأت له أخر حديث بيقول فيه: أنا راجل ما باتكلمش، وبعدين أنا راجل يعنى مش عايز اتكلم على نفسى، وعديت "أنا" فى الحديث لاقيت ٣٠ "أنا" بيقول إيه؟ أنا اللى عملت الثورة.. هو اللى عمل ثورة العراق! طبعًا وما بيقولش كان فين ساعة الثورة أما كانت فى بغداد! وطبعاً كلنا نعلم إن هو كان بره بغداد وجِه الساعة ١١، والثورة

تمت فى بغداد وهو كان منتظر النجاح علشان يدخل ويباغت! طبعًا اللِّى قاموا بالثورة شنقهم كلهم، وبعدين يقول إيه: أنا اللى عملت كل حاجة.. أنا اللى حاربت حلف بغداد.. أنا وحدى – هو عبد الكريم قاسم! – أنا اللى قاومت الاستعمار.. أنا اللى واجهت الحصار الاقتصادى.. أنا اللى حطمت قواعد الاستعمار.. أنا اللى واجهت العزل.. أنا اللى واجهت احتكار السلاح، وناقص يقول أنا اللى أممت قنال السويس!! هى دى بس اللى ناقصة!! (تصفيق).

الكلام القديم والكلام الجديد يعنى احنا موافقين، كل حاجة فى تمجيد عبدالكريم قاسم احنا بنوافق عليها وبنصفق له عليها، ولكن إذا كان هو بيرى إن تمجيده لا يستقيم إلا مع هدم كل شىء، وإلا مع هدم كل الأمجاد اللى موجودة للعرب أو مع هدم التاريخ.. طبعًا لا يمكن أن ينطلى هذا على أى إنسان بيفهم وعلى أى إنسان عنده وعى، والشعب العربى كله عنده وعى وبيفهم.

سمعنا طبعًا بالحاجات القديمة؛ بالهلال الخصيب، بنقول له: قديمة، الهلال الخصيب.. عارفين من الأول إيه الهلال الخصيب، والكلام دا إيه، والوضع إيه، وأصله جاى منين، والعمليات دى مافيش داعى نتكلم فى هذه الأمور؛ لأن كل العرب عارفين موضوع الهلال الخصيب.

وبعدين سمعنا يقول لك إيه: إن عبد الحكيم عامر – اللى هو المشير– راح سوريا بيحكم الشعب السورى بسلطة مطلقة.. طبعًا قصده فى هذا التأثير فى الوضع السورى، والمصرى رايح يحكم الشعب السورى! قطعًا سمعنا الكلام دا، وقعدوا الاستعماريين يهَوْهَووا بهذا الكلام عشرات الأشهر بعشرات المحطات، ما حد فى سوريا ولا حد فى مصر استمع لهذا الكلام.

وكنت أحب إن عبد الكريم قاسم فى الوقت اللى كان هو بيتكلم هذا الكلام، كنت أنا باستمع إلى استقبال عبد الحكيم عامر مثلاً فى حلب.

امبارح برضه كان فيه حديث لعبد الكريم قاسم برضهُ بيتبع الأساليب القديمة اللى اتبُعت للدس؛ ويقولك: إن هو – عبد الكريم قاسم – عايز يحرر الشعب السورى والشعب المصرى والشعوب العربية كلها!

احنا طبعًا نتمنى ربنا يوفق عبد الكريم قاسم فى إنه يحرر شعب العراق من البلاوى اللى حطُّه فيها بعد ١٤ يوليو.. يحرر شعب العراق من الظلام اللى وقّع فيه شعب العراق بعملية التوازن اللّى بيخلى دا يموت دا، وهو قاعد بيتفرج.

ثم بيحكى الحكايات؛ وبيقول: إن احنا قادرين على إن احنا نبعث الجيش العراقى علشان يحتل سوريا.. وبنقول له: أهلاً وسهلاً، احنا بعثنا طلبنا منك من ٩ أشهر تبعث لنا الجيش العراقى؛ علشان يقف معانا ضد إسرائيل، واحنا بنعتقد إنه بيبعت الجيش العراقى.. لن يقف الجيش العراقى ضد الجيش السورى، ولن يقف الجيش السورى أو الجيش المصرى أو جيش الجمهورية العربية المتحدة ضد الجيش العراقى؛ لأن كلهم عرب، وكل واحد فيهم بيؤمن بالقومية العربية، ولن يرتفع سلاح عربى ضد سلاح عربى، ولكن تخاريف وكلام بيتقال وحكايات بتتقال، ما احنا عارفين أولها إيه ولا آخرها إيه! بيحب يبعث الجيش العراقى لسوريا، أهلاً وسهلاً. وأنا برضهُ أنتهز هذه الفرصة، وأطالبه بتنفيذ الطلب اللى احنا بعثناه؛ علشان الجيش العراقى ييجى لسوريا، يقف جنب جيش الجمهورية العربية المتحدة ضد إسرائيل، بدل ما هو واقف على بعد ألف كيلو وبيتكلم على المباغتة!

طبعاً بنبص لإسرائيل، والكلام اللى بيردده عبد الكريم قاسم، والكلام اللى بيتقال فى راديو بغداد بييجى على هوى إسرائيل؛ لأن إسرائيل ضد أى تضامن عربى، وضد أى وحدة عربية، وضد أن يكون العرب قوة واحدة؛ لأن دا معناه نهاية أطماع الصهيونية ونهاية أطماع إسرائيل.. بنبص نلاقى "بن جوريون" واقف يقول: أى تهديد لعبد الكريم قاسم أنا حاتدخل، ليه؟ لأن عبد الكريم قاسم بيحقق أهدافه بطريقة غير مباشرة، أو يمكن بطريقة مباشرة، ليه؟ لأنه بيفرق الصف العربى وبيخلق ثغرة داخل التضامن العربى، وبيقف كسد منيع ضد آمال العرب. طبعاً بيحقق آمال "بن جوريون".. "بن جوريون" قال: إن الاتفاقية العسكرية بين مصر وسوريا والأردن فى سنة ٥٦ كانت من ضمن الأسباب

الرئيسية فى العدوان الثلاثى؛ لأنه اعتبر إن معنى هذا إن إسرائيل بقت زَىْ البندقة داخل الكسارة، ودا الكلام اللى قالوه وأعلنوه فى صحفهم.

بنبص نلاقى عبد الكريم قاسم بيحاول بهذه الأساليب القديمة والجديدة.. بيحاول يتكلم على الجيش السورى ومش فاهم إيه.. بيردد الكلام القديم بتاع الاستعمار، وبتاع محطات إسرائيل.. طبعًا بيساندوه الشيوعيين فى جرايدهم، وفى العالم العربى وفى العراق بيرددوا هذا الكلام، بيتكلموا كلام لا أول له ولا أخر، ولكن هل الشعب بينخدع بهذا الكلام؟ الشعب العربى شعب واعى قوى بيعرف فين العمل، وبيعرف فين التهريج.. بيفهم حكايات أبو زيد الهلالى سلامة من الواقع وواقع الأمر.. بيفهم كل أمر من الأمور، دخل معارك طويلة.. انتصر فى هذه المعارك؛ لأنه لم يُخدع. والنهارده اللى بنشوفه.. الصورة الجديدة للوقوف ضد القومية العربية ولتفتيت العالم العربى؛ أحاديث عبد الكريم قاسم بالمسكنة حيناً وبالوسائل الأخرى حيناً آخر، وبتكرار كل الأساليب اللى فشلت، ولكن هل ستنجح هذه الصورة الجديدة، فيما لم تنجح فيه الصورة القديمة؟!

مستحيل الوقوف ضد تيار التاريخ.. مستحيل الوقوف ضد أمانى الشعب العربى.. مستحيل الانتصار فى هذه المعارك مستحيل؛ لأن الانتصار هو من حق الشعب العربى، وسينتصر الشعب العربى باعتماده على الله وباعتماده على نفسه؛ الشعب العربى اللى كافح وقاتل واستشهد منه فى كل أرجاء العالم العربى المئات والآلاف ليخرج من الظلام.. خرج من الظلام وبيبص النهارده للكلام اللى بيتقال دا وللصوت اللى بيخرج دا، على أساس إن هو مش حاجة حترجعه إلى الظلام، ولكن هذا هو عبارة عن الضباب اللى بيطلع مع الفجر.. اللى لابد أن يتحلل وينتهى نتيجة حرارة الشمس. وحرارة الأمة العربية وقوة الأمة العربية لن تمكن أى فرد مهما كان من أن يضعنا داخل مناطق النفوذ، أو يقضى على كفاحنا. والله الموفق.

والسلام عليكم ورحمة الله.